



المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

قسم اللغة والأدب العربي
المرجع:

معهد الآداب واللغات

الأنساق الثقافية في رواية " لبيك حج الفقراء " لمالك بن نبي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب حديث ومعاصر

إشراف الدكتورة:
وسيلة مرياح

إعداد الطالبة:
*لطيفة بودن

السنة الجامعية: 2021/2020

CORONAVIRUS
COVID-19



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وعرفان

بعد الحمد لله وشكره جل وعلا على توفيقه وعلى نعمه التي لا تعد ولا تحصى، يسعدنا في مستهل هذا العمل أن نتقدم بجزيل الشكر والاحترام إلى الأستاذة المشرفة الدكتورة "وسيلة مرياح" التي تفضلت بالإشراف على هذا البحث، متمنين أن يجعلها الله خير ذخـر لأهل العلم والمعرفة.

وعبارات الود والتقدير للأساتذة المناقشين على قبولهم مراجعة هذا العمل وتصويبهم لما فاتنا.

كما نتقدم بعظيم الشكر لكل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي بالمركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف.

مقدمة

شهدت فترة مابعد الحداثة ثورة نقدية وأدبية، حيث اتسمت نظرياتها بالتححرر من قيود المركز، والانفتاح على مختلف المجالات ومحاربة لغة البنية وانغلاقها على ذاتها وتجاوز المؤسسات وبرامجها، والاهتمام بالمهمّش والشعبي وكل ما هو غير رسمي، فجاءت كرد فعل للنظرية البنيوية وانغلاقها على عناصرها الداخلية.

فقد أفرزت الساحة النقدية الغربية مابعد البنيوية مقاربات تتسع لتشمل كل المجالات الثقافية، فالنقد الثقافي يعدّ من إفرازات هذه المرحلة والذي تبلور على مدى سنين، للبحث في المسكوت عنه ورصد مختلف أنواع النشاط الإنساني، وقد تبناه العرب في مقارباتهم ودراساتهم بعد تأثرهم بأفكار الغربيين، ويعدّ عبد الله الغذامي من النقاد الذين تأثروا بفكر الناقد فنسنت ليتش، والذي انشغل بنظرية الأنساق الثقافية ومحاولة تطبيق الآليات الإجرائية للنقد الثقافي على المدونات العربية بغرض تعرية المستتر الجمالي وكشف الأنساق المضمرة داخل الثقافة العربية والتي تمارس سلطتها وتأثيرها في الفكر العربي، ودراساتها في سياق سياسي واجتماعي وديني وثقافي، تأويلاً وتفسيراً وتجنييد مختلف العلوم الإنسانية لذلك من أنثروبولوجيا، علم النفس، علم العلامات، علم الاجتماع ...

وتعدّ الرواية من المدونات محل اهتمام النقد الثقافي لقُدرة هذا الجنس الأدبي السردية على مسابقة التّحولات الاجتماعية والتعبير عن إحباطات الإنسان وهمومه في مواجهة شراسة سلطة الواقع وتنوّاته الصّلبة، وما تحمله من تنوع ثقافات وعادات شخصياتها وأفكارهم ومسايرتها للواقع السياسي وما تخفيه أحداثها من أنساق ثقافية يُمرّر المؤلف من خلالها رؤاه وإيديولوجيته.

وقد شكل مالك بن نبي من خلال عالمه الروائي "لبيك حج الفقراء" ظاهرة ثقافية شغلت العديد من الأنساق الثقافية التي تطرح مجموعة من الأسئلة المفتوحة على السياسة والدين وخطاب الهوية والغيرية وغيرها من الأنساق، مما جعل هذا النص الروائي مجالاً سردياً وثقافياً مفتوحاً ومُتقلاً بأنساق و تمثيلات مختلفة تجسدت عبر أحداثها وشخصياتها.

وقد طرح البحث مجموعة من الإشكاليات تتمثل في:

ما هي الأنساق الثقافية المضمرة التي حملتها الرواية وتحكمت في إنتاجها، وما هي الأفعنة والوسائل التي اعتمدتها الثقافة لتمرير أنساقها وفرض هيمنتها؟

ومن الدوافع التي جعلتنا نختار هذا الموضوع والبحث فيه:

دوافع ذاتية تتمثل في إهتمامنا بأعمال مالك بن نبي وأفكاره ورغبتنا في الحفر على المسكوت عنه، والوقوف عند فاعلية توجيهه للقراءة النقدية من خلال رواية "لبيك حج الفقراء"، وأخرى موضوعية اكتشاف النقد الثقافي والولوج لعالمه بدءاً بماهيته وآلياته الإجرائية وأهدافه التي يصبو إليها، ورصد الأنساق الثقافية التي تحملها الرواية وتؤويل أحداثها وحبكتها.

أمّا هدفنا من هذا البحث فيتمثل في محاولة رصد أفكار الروائي والأنساق الثقافية المضمرة التي يحاول تمريرها من خلال رواية "لبيك حج الفقراء" وغاياته من هذا النص، فهذا العمل الأدبي يسير على نفس رؤى ومضمون الأعمال الفكرية لمالك بن نبي والمتمثلة في سلسلة مشكلات الحضارة، فكان موضوع دراستنا "الأنساق الثقافية في رواية لبيك حج الفقراء".

وبحثنا هذا لم يكن أول خطوة في هذا المجال النقدي إنّما سبقنا إليه بعض الباحثين نذكر منهم:

■ الأنساق الثقافية في رواية مملكة الفراشة ل:واسيني الأعرج من إعداد "المهدي بن علي وسمية حشيفة".

أمّا فيما يخص رواية "لبّيك حج الفقراء" لمالك بن نبي فالدراسات فيها نادرة وقليلة أمّا من خلال تطبيق النقد الثقافي عليها فما مرّت علينا.

و للإجابة على الإشكالية المطروحة وبلوغ الأهداف المسطرة في بحثنا هذا، اعتمدنا خطة كالآتي: مقدّمة، فصلين وخاتمة، وذلّنا البحث بملحق.

تطرقنا في الفصل الأول وهو الجانب النظري إلى ضبط مصطلحات النقد الثقافي، إضافة إلى أهم مُرتكزاته من مبادئ والآليات التي يعتمدها في الدراسة وأهدافه، والنسق الثقافي ومفهومه وانتقال النص في النقد الثقافي من البنية إلى النسق.

أمّا الفصل الثاني فكان إجرائياً موسوماً: "الأنساق الثقافية في رواية لبّيك حج الفقراء"، حاولنا فيه استخراج أهم الأنساق الثقافية في متن الرواية، وتنقسم إلى:

النسق السياسي والنسق الاجتماعي والنسق الديني والنسق الفكري وبدورها يتفرع عنها عدة مواضيع.

وخاتمة أدرجنا فيها أهم ما توصلنا إليه من نتائج، مع حث الدارسين على البحث والتطرق لمقاربات أخرى.

وقد اعتمدنا في انجاز البحث على مقولات النقد الثقافي والاستعانة ببعض الآليات التي يتوسل بها في مقارنته ومنها التحليل والتأويل للغوص في ما تخفيه هذه الأنساق،

كما كان للتقنيات البحثية حضوراً لجمع المادة العلمية وعرضها كالوصف والتحليل والتي لا يُستغنى عنها في إنتاج البحوث والدراسات.

لقد تضافرت عديد المراجع في إنجاز هذا البحث حتى تشكل لنا في صورته النهائية، نذكر منها: كتاب النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية لعبد الله الغدامي، نقد ثقافي أم نقد أدبي لعبد الله الغدامي وعبد النبي إصطيف، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي لسمير الخليل، وغيرها من الكتب والمجلات والدراسات.

غير أنّ هناك بعض الصعوبات التي واجهتنا لعلّ أهمها قلّة المصادر والمراجع التي تعالج مواضيع النقد الثقافي في الجانب الإجرائي، وغياب الدراسات العربية (الجزائرية) وندرتها في مسالة رواية لبّيك حج الفقراء، لكننا وبفضل من الله سبحانه وتوفيقه تمكّنّا من إنجاز هذا البحث.

كما نتقدم للأستاذة "وسيلة مرياح" بخالص عبارات الشكر والتقدير، ونتوجه بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة، الذين تجشّموا عناء القراءة والتقويم.

الفصل الأول:

النقد الثقافي

- المفهوم والنشأة -

1- تعريف النقد الثقافي:

1.1- تعريف النقد:

1.1.1- لغة: :

ورد في لسان العرب: النَّقْد من " النَّقْد و التَّنْقَاد: تمييز الدراهم و إخراج الزَّيف منها.

ونَقَدْتُ الدَّرَاهِم و انتَقَدْتُهَا إِذَا أَخْرَجْتَ مِنْهَا الزَّيْف... وناقدت فلانًا إِذَا ناقشته في الأمر " ¹.

و النَّقْد: النَّقْر بِالْإِصْبَع في الجوز. ²

وورد في معجم الوجيز الميسر في معنى النَّقْد أنه " نقد الشيء نقدًا ليختبره أو يميزه جوده من رديئه، يقال نقد الدراهم و الدنانير نقداً أو انتقاداً ميز جيدها من رديئها.

ويقال : نقد النثر و نقد الشعر أظهر ما فيه من عيب أو حسن. ³

و من خلال هذه التعريفات اللغوية يظهر أنها تشترك في معنى تمييز الجيد من الأشياء عن الرديء والسيء.

2.1.1- اصطلاحًا:

تعددت و تنوعت مفاهيم النقد بحسب الكتاب و توجهاتهم و سنحاول إيراد بعض معانيه عند الغربيين ثم عند النقاد العرب.

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (دبط)، (دبت)، مج 03، مادة "نقد"، ص425.

² مجد الدين بن يعقوب الفيروزبادي، قاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، باب النون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005م، ص322.

³ معجم الوجيز الميسر، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط1، 1993م، ص516.

فمفهوم النقد عند الغربيين كالآتي :

عند **رولان بارت** النقد "يتوسط بين العلم و القراءة الذاتية المحضة. فالنقد يحتل مكانة وسيطة بين علم الأدب و القراءة، و هو يعطي لغة للكلمة، التي يقرأها، ويعطي كلمة للغة الميثية التي وضع فيها العمل ليعالجه العلم".¹

فالنقد عند بارت يجمع بين الموضوعية و الذاتية وهو يخلق النص من جديد و يعطي الحياة للنص بإعادة دراسته و استخراج مزاياه ومساءلته.

أما **جان بولهان**: " فيرى في النقد، تأملاً، يعلن استحقاق عمل أدبي، أو عدم أحقيته في نيل الاعتبار و الوجود أو اللأوجود ".² فالنقد عنده تأملاً، يخلص من خلاله إلى تصنيف النص في خانة الأدب و استحقاقه لهذه المكانة أم هو أبعد ما يكون بأن يؤخذ في الاعتبار.

أما عند العرب :

فيرّفه **شوقي ضيف**: "النقد الذي يقوم و يقدر ما للنص الأدبي من قيمة فنية، فيزري و يهجن أو يقبل و يستحسن، و بعبارة أخرى النقد الذي يتجاوز فيه الناقد درجة الشعور إلى درجة التفكير في الشعور و معرفة الأسباب التي من أجلها يرضى عن قصيدة أو يسخط عليها ".³

أما **أحمد كمال زكي** فيقول : " هو تقديم النصوص التي تتدرج تحت الأنواع الأدبية تقويمًا يتبع تفسيره أو تحليله في ضوء التجربة الفنية".⁴

¹ سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتب اللبناني، بيروت، ط1، 1985م، ص216.

² المرجع نفسه، ص217.

³ شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط9، 2004م، ص9.

⁴ أحمد كمال زكي، النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته، دار النهضة العربية، بيروت، (دب)، 2009م، ص31.

ويعني عند **محمد مندور**: "فن تمييز الأساليب، ولا يقتصر على أساليب التعبير اللغوي بل يشمل أيضا أسلوب الرجل في الحياة و موقفه منها ومن كل ما فيها بما في ذلك القيم الجمالية".¹

ويعرّفه بعض النقاد بأنّه : " تفسير و تقييم و توجيه للأدب".²

وهو عند **حسين مرّوة**: " ما يكون مؤسسًا على نظرية نقدية تعتمد أصولًا معينة في فهم الأدب، و في إكتشاف القيم الجمالية و النفسية و الفكرية و الإجتماعية في العمل الأدبي".³

و الجامع بين هذه التعريفات حول النقد، أنه تفسير و تقويم و تقييم و تحليل و بيان محاسن ومساوئ و جماليات الأعمال الأدبيّة و ما فيها من قيم نفسية و إجتماعية و فكريّة.

2.1- تعريف الثقافة :

1.2.1- لغة :

ورد في لسان العرب لابن منظور حين قال : "تَقَفَ الرجل ثقافةً أي صار حاذقًا و ثقّف الشيء حذقه، و غلام لقن ثقّف أي ذو فطنةٍ و ذكاء و المراد أنه ثابت المعرفة بما يُحتاجُ إليه"⁴. فهي تعني إذن الفهم الجيد و الذكاء و حسن التفكير.

أمّا ما ورد في قاموس المحيط فليس ببعيد عن لسان العرب فأصل تَقَفَ : "تَقَفًا و تَقَفًا و ثقافةً : صار حاذقًا خفيًا فطنًا، فهو تَقَفٍ... و تَقَفَهُ تَثْقِيْفًا : سَوّاه".⁵

¹ ينظر: محمد مندور، الأدب وفنونه، نهضة مصر، مصر، ط5، 2006م، ص136.

² المرجع نفسه، ص136.

³ صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط1، 2002م، ص189.

⁴ ابن منظور، لسان العرب، مج 09، مادة "تَقَفَ"، ص19.

⁵ مجد الدين بن يعقوب الفيروزبادي، قاموس المحيط، ص795.

فالتعريفات اللغوية تشترك في معنى ثَقَفَ، فهو دلالة على الفطنة والحدق وحسن التسيير.

1. 2. 2 - اصطلاحاً:

إنَّ الثقافة مفهوم واسع و متشعب و قد كثرت و تنوعت تعريفاتها و منها :

تعريف **ت. س. إليوت** : هي "طريقة الحياة"¹ كما يقول أيضا بأنه : " تختلف إرتباطات كلمة "الثقافة " بحسب ما تعنيه من نمو الفرد، أو نمو فئة أو طبقة، أو نمو مجتمع بأسره، و جزء من دعواي أن ثقافة الفئة أو الطبقة تتوقف على ثقافة المجتمع كله... و بناء على ذلك فإنَّ ثقافة المجتمع هي الأساسية "².

أمَّا **ليونيل تريلنج** فالثقافة عنده : " كل نشاطات المجتمع من أكثرها ضرورية إلى أكثرها عفوية وفق النظر إليها في تماسكها المشهود أو المفترض "³.

ويرى **روبيرت بيرسيد** أنَّ "الثقافة هي ذلك الكل المركَّب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه أو نقوم بعمله أو نمتلكه كأعضاء في المجتمع "⁴.

فالثقافة إذن مفهوم شامل يرتبط بالأفراد و تفكيرهم وأعمالهم وطرق معيشتهم و نشاطاتهم في المجتمعات، فهي كل إجتماعي تشكَّل جراء التكتل البشري.

¹ ت. س. إليوت، ملاحظات نحو تعريف الثقافة، تر : شكري عياد، دار التنوير، القاهرة، ط1، 2014م، ص27.

² المرجع نفسه، ص27.

³ فنسنت ليتش ، النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات إلى الثمانينيات، تر : محمد يحيي، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة، (د ، ط)، 2000م، ص104.

⁴ محمد عادل شريح، ثقافة في الأسر نحو تفكيك المقولات النهضوية العربية، دار الفكر ، دمشق، ط1، 2008م، ص15.

وتعني عند **مالك بن نبي**: "مجموعة من الصفات الخلقية و القيم الاجتماعية، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لاشعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه".¹ فهي إذن مبادئ و قيم تأثر بها الفرد من خلال المحيط الذي ترعرع فيه بل هي همزة وصل بين أفعاله و تفكيره و تعامله مع البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها.

ويرى **سعيد علوش** أنّها: "خبر، يجمع و يحافظ عليه، و تتناقله المجتمعات الإنسانية".²

وهي عند **سمير حجازي** "بنيات عملية و نماذج نمطية فكرية واقعية و خيالية تظهر في اللغة المقننة و اللغة الرمزية و تظهر في سلوك و في فكر الفرد و الجماعة خلال الزمن".³

وعرّف **عبد الله الغدامي** الثقافة بأنها : آليات الهيمنة من خطط و قوانين و تعليمات، ومهمتها هي التحكم بالسلوك.⁴

ومن خلال ما عرضنا من آراء المفكرين الغربيين و العرب من تصوراتهم حول الثقافة نستنتج ما يلي :

- لكل مجتمع ثقافته الخاصة و من الطبيعي أن تختلف عن ثقافات المجتمعات الأخرى.
- الثقافة مفهوم زبقي و شامل فهي تشمل المبادئ والقيم الاجتماعية والعادات و طرق الحياة و أساليب التفكير.

¹ مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، (د.ط)، 2000م، ص74.

² سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص57.

³ سمير حجازي، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي المعاصر، دار الوثائق، سورية، ط1، 2004م، ص144.

⁴ ينظر : عبد الله الغدامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط3، 2005م ، ص 74.

- تتناقل الثقافة عبر المجتمعات الإنسانية و قد تتعدد في المجتمع الواحد و تكون مختلفة و متشكلة.

2- مفهوم النقد الثقافي:

النقد الثقافي من القراءات التي إرتبطت بعدة علوم و معارف إنسانية كعلم الاجتماع الأنثروبولوجيا، علم النفس، علم العلامات... ولذلك من الصعوبة أن نجد تعريف جامع شامل لكل ما يحوزه من فكر و أسس، على أننا حاولنا أن نقدّم نظرة عنه من خلال تعريفات بعض النقاد له سواء في منشئه الغربي أو عند العرب.

يعرفه الأمريكي آرثر أيزنبرجر بأنه : "نشاط وليس مجالاً معرفياً خاصاً بذاته (...)" و أن نقاد الثقافة يطبقون المفاهيم و النظريات على الفنون الرّاقية و الثقافة الشعبية و الحياة اليومية على حشد من الموضوعات المرتبطة، فالنقد الثقافي كما أعتقد هو مهمة متداخلة، مترابطة، متجاوزة و متعددة، كما أن نقاد الثقافة يأتون من مجالات مختلفة و يستخدمون أفكاراً و مفاهيم متنوعة و بمقدور النقد الثقافي أن يشمل نظرية الأدب و الجمال والنقد، وأيضاً التفكير الفلسفي، و تحليل الوسائط و النقد الثقافي الشعبي، و بمقدوره أيضاً أن يفسّر نظريات و مجالات علم العلامات و نظرية التحليل النفسي و النظرية الماركسية و النظرية الاجتماعية و الأنثروبولوجية و دراسات الاتصال، و بحث في وسائل الإعلام و الوسائل الأخرى المتنوعة".¹

فالنقد الثقافي إذن نشاط معرفي منفتح في مقولاته النظرية و أدواته الإجرائية على غيره من العلوم و المعارف الإنسانية و الاجتماعية.

¹ آرثر أيزنبرجر، النقد الثقافي-تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية-، تر: وفاء ابراهيم ورمضان بسطاوي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003م، ص30-31.

أما فنسنت ليتش¹ يجعل من النقد الثقافي مرادفا لمصطلحي ما بعد الحداثة و ما بعد
البنوية²

فليتش يعتبره نشاط نقدي جديد يتجاوز النظرة البنوية للأدب والتي رَسمت حدوداً للأعمال
الأدبية مغفلة ما هو غير جمالي و نخبوي .

أما ريتشارد شيس³ اعتبره ذا طابع سياسي في جوهره، حيث يقول: "سيجد الناقد
الأدبي أنه حتما كاتب سياسي، لأن الأدب يتناول الأفعال الأخلاقية والعواطف والسلوكيات
والأسطورة، بل ربما نقول بصفة بالغة العمومية أن الأدب إقامة و تفكيك المجتمع ثم إعادة
تجميعه".²

و من هذه النظرة الغربية للنقد الثقافي نجدهم اعتبروه نشاطا معرفيا يتداخل مع عدة علوم و
معارف إنسانية كالتاريخ، علم النفس، علم العلامات، الأنثروبولوجيا، اللسانيات، و يحاول
الكشف عن ما لم يستطع النقد البنوي كشفه.

وأما المشهد العربي فقد تمثل في بادئ الأمر بما أتى به " عبد الله الغدامي " من
خلال تأثره بفكر ليتش حيث يقول : "النقد الثقافي فرع من فروع النقد النصوصي العام، ومن
ثم فهو أحد علوم اللغة و حقول الألسنية معني بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها
الخطاب الثقافي بكل تجلياته و أنماطه و صيغه، ما هو غير رسمي و غير مؤسساني و ما
هو كذلك سواء بسواء... وهو لذا معني بكشف لا الجمالي كما هو شأن النقد الأدبي، و إنما
همه كشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغي/ الجمالي".³

¹ عبد الله الغدامي، النقد الثقافي -قراءة في الأنساق الثقافية العربية-، ص31.

² فنسنت ليتش، النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات إلى الثمانينيات، ص105.

³ عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، ص83-84.

فالغذامي يعتبره ممارسة نقدية من أجل الكشف عن الأنساق الثقافية المضمرة عن طريق تجاوز النقد الجمالي الذي يحتفي باللغة من حيث جمالياتها و الإهتمام بما ينطوي تحت الجمالي.

وعند **محسن جاسم الموسوي** : " النقد الثقافي عبارة عن فاعليّة تستعين بالنظريات والمفاهيم والنظم المعرفيّة لبلوغ ما تأنف المناهج الأدبية المحضة من المساس به أو الخوض فيه، إذ كيف يتسنى للناقد الأدبي أن يخوض في المبتذل و العادي و الوضع و اليومي والسوقي بعدما تمهر كثيرا في قراءة النصوص المنتقاة و المنتخبة التي يتناقلها نقاد الأدب على مر العصور".¹

في حين يعتبره كل من "**ميجان الرويلي**" و "**سعد البازعي**" على أنه : "نشاط فكري يتخذ من الثقافة بشموليتها موضوعاً لبحثه وتفكيره و يعبر عن مواقف إزاء تطوراتها وسماتها".² فهو إذن ممارسة موضوعها الثقافة بكل أنواعها و أنماطها.

ومن خلال مجمل التعريفات السابقة نستنتج أن النقد الثقافي :

فرع من فروع النقد النصوسي العام، و هو ممارسة فاعلية يشمل عديد المجالات ومختلف المعارف الإنسانية، بهدف دراسة الخطاب الثقافي و كشف الأنساق الثقافية المضمرة و المُندسّة تحت كل ما هو جمالي و بلاغي.

3- نشأة النقد الثقافي:

إنّ النقد الثقافي من أهمّ القراءات النقدية التي نتجت في فترة ما بعد الحداثة وقد جاء كردّ فعل على تيار المناهج النصّية كالبنيوية، و التي تُعنى بالأدب كظاهرة لسانية وجمالية فقط.

¹ محسن جاسم الموسوي، النظرية و النقد الثقافي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط1، 2005م، ص12.

² ميجان الرويلي و سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002م، ص305.

وسنحاول تتبع نشأة النقد الثقافي عند الغرب ثم العرب :

1.3- عند الغرب:

تعود أولى ممارسات النقد الثقافي إلى أوروبا في القرن 18 م، ومن أوائل من بدؤوا بالدراسات الثقافية الإنجليزي " ماثيو أدنولد " (1888/1822 م) في كتابه " الثقافة والفوضى " عام 1869م، والذي يعتقد أن الثقافة ماهي إلا مسألة سياسية على نحو صريح فهي ترتبط مباشرة بالعلاقات الطبقية في بريطانيا في القرن 19 ميلادي¹ ثم جاء بعده الناقد والأكاديمي " ليفيز " و الذي كان مهتما بدوره بالروابط القائمة بين " الثقافة والمجتمع "، وأسهم في بناء الدراسات الثقافية و ذلك بنشر العديد من المقالات في مجلة سكروتن مابين 1932/1953م، و إصداره للعديد من الكتب في هذا المجال منها : كتاب "الثقافة والبيئة" الذي نشره بالإشتراك مع "دينس تومبسون"، و كتاب " الحضارة الجماهيرية وثقافة الأقلية " 1930م وغيرهم، و قد أثر فكره في طلبة جامعة كامبردج أين كان أستاذا لهم².

ومن المقولات التي كانت لها الأثر في خدمة النقد الثقافي ما جاء في أعمال الناقد "تيودور أدورنو" و "يورغان هابرماس"، ففي مقالة "أدورنو" بعنوان "النقد الثقافي والمجتمع" إشارات مبكرة للنقد الثقافي وقد كتبها عام 1949م و فيها " هجوم على ذلك النشاط الذي يربطه الكاتب بالثقافة الأوروبية عند نهاية القرن التاسع عشر بوصفه نقداً برجوازيًا يمثل مسلّمات الثقافة السائدة و يبعدها عن الروح الحقيقية للنقد، وما فيها من نزوع سلطوي للسائد و المقبول عند الأكثرية"³.

¹ ك بلوولف و آخرون، موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي (القرن العشرين المدخل التاريخية و الفلسفية و النفسية)، تر : إسماعيل عبد الغني و آخرون، المجلد 9، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر، ط1، 2005م، ص147.

² المرجع نفسه، ص237.

³ ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص306.

يعتبر ما أنجزه أودورنو و هابرماس من بين المرتكزات المعرفية التي هيأت لنشأة النقد الثقافي ولم يقتصر ذلك على إطلاق الاسم فقط، بل هناك آراء ومواقف و مقولات غدت النقد الثقافي المعاصر مثل آراء **هور كهaimer** و **أودورنو** في كتابهما "جدل التنوير" خاصة مفهوم صناعة الثقافة الذي يحيل على مفهوم الثقافة الجماهيرية.¹

ثم جاء "ريتشارد هوجارت" و "ريموند ويليامز" و "ستيوارت هول" الذين يُعدّون من أبرز النقاد الذين ساهموا في تطوير الدراسات الثقافية البريطانية، " فعملوا على توسيع نطاق النصوص المدروسة بحيث تشمل : الثقافة الشعبية، ثقافة الطبقة العامة، و وسائل الإعلام الخاصة في الخمسينيات و الستينيات، ومن بين أبرز إسهاماتهم كتاب "هوجارت" فؤاد التعليم 1957م الذي تميز بالتحول الجذري إضافة إلى كتاب "ويليامز" "الثقافة و المجتمع" 1958 م، كما أنّ من الأعمال التي تنكئ على الدلالة العامة للنقد الثقافي دراسة للمؤرخ الأمريكي "هيدن وايت" في كتابه المعنون "بلاغيات الخطاب : مقالات في النقد الثقافي" سنة 1978 م يشير فيه إلى أنّ الخطابات الموظفة في العلوم الإنسانية تقوم على بلاغيات لا تختلف كثيرا عمّا يعتمد عليه الأدب و واضح أنّه اعتبر تحليله لذلك التداخل الخطابي نوعاً من النقد الثقافي".²

فقد سعى هؤلاء النقاد إلى نشر مقالات نقدية موضوع بحثها الثقافة الشعبية و تأثيرها على حياة الإنسان.

¹ طارق بوحالة، "جينالوجيا نظرية النقد الثقافي" دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية، عناية، العدد الثالث، أكتوبر 2016م ص 273.

² ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص307.

فيعتقد أصحاب الدراسات الثقافية أنه قد حان الأوان لنقاد و دارسي الأدب الانتقال من دراسة النصوص الأدبية و الخطابات المتنوعة إلى دراسة النصوص الهامشية و الخطابات الشعبية و الجماهيرية.¹

بيد أن الظهور الحقيقي و الفعلي للنقد الثقافي لم يتحقق إلا في سنوات الثمانين من القرن العشرين (1985م) و ذلك في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث إستفاد هذا النقد من البنيوية اللسانية، و الأنثروبولوجيا، والتفكيكية، ونقد ما بعد الحداثة و الحركة النسوية، و نقد الجُنوسَة، وأطروحات ما بعد الإستعمار... ومن ثم لم ينطلق النقد الثقافي إلا بظهور مجلة: "النقد الثقافي" التي كانت تصدر في جامعة مينيسوتا الأمريكية. في شتى المجالات الثقافية. وبعد ذلك أصبح النقد الثقافي يدرس في معظم جامعات الولايات المتحدة الأمريكية.²

أمّا السَّباق إلى إستعمال مصطلح النقد الثقافي هو الناقد الأمريكي "فنسنت ليتش" وجعله رديفا لمصطلحي ما بعد الحداثة، و ما بعد البنيوية، و في تحديده للمصطلح عبّر عن الثقافة بأنها: "دينامية نشطة موحية و متعدّدة الأوجه، يدخل فيها الإقتصاد و التنظيم الإجتماعي، و القيم الأخلاقية و المعنوية، و المعتقدات الدينية، و الممارسات النقدية، والأبنية السياسية وأنظمة التقييم و الإهتمامات الفكرية، و التقاليد الفنية."³

نستنتج من كل ما سبق أن الدراسات الثقافية تُعدُّ اللَّبَنَة الأولى لنشأة النَّقْد الثقافي مع إسهامات و طروحات النُّقاد و العلماء في كل من أوروبا وأمريكا إلى أن إكتسب هذا النقد سِماته المُمَيِّزة على المستويين المعرفي والمنهجي مع بداية التسعينات مع الناقد فنسنت ليتش.

¹ جوناثان كولر، مدخل إلى النظرية الأدبية، تر: مصطفى بيومي عبد السلام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005م، ص52.

² ينظر: محمد جاسم الموسوي، النظرية و النقد الثقافي، ص52.

³ فنسنت ليتش، النقد الأدبي الأمريكي، تر: محمد يحيى، ص104.

2.3- عند العرب:

بعد هذه الإطلالة المتعلقة بنشاط النقد الثقافي في سياقه الغربي سنحاول رصد أهم مراحل وتطور هذا النشاط عند العرب، " فيمكن الحديث عن كثير من الآراء التي قدّمها النقاد العرب، و ذلك منذ منتصف القرن التاسع عشر باعتبار المنجز نقدا ثقافيا، و أكثر ذلك ما كُتب في مجالات التاريخ و النقد الأدبي و الاجتماعي و السياسة و كل ما يتماشى مع الثقافة و يشكل نقداً لها إذا اعتبرنا أنّ النّقد الثقافي هو الأخذ من كل علم بطرف حسب ابن خلدون، فقد مارسه العرب بمفهومه الموسوعي.¹ كما نجد الكثير من الأعمال التي تنطوي تحت عباءة النقد الثقافي و منها على سبيل المثال لا الحصر كتاب "في الشعر الجاهلي و مستقبل الثقافة في مصر" لطفه حسين سنة 1938م. و كتاب "مشكلة الثقافة" لمالك بن النّبي سنة 1959م. و كتاب " في الثقافة المصرية" لعبد العظيم أنيس و محمود أمين العالم سنة 1956م. وقد أُعتبروا أول ثلاثة كتب مباشرة في النّقد الثقافي العربي، بالإضافة إلى أعمال إدوارد سعيد و الذي يعد أول من حرّك الاهتمام بالنّقد الثقافي في كتابه "الإستشراق" سنة 1978م و"العالم والنّص والناقد" سنة 1983م.² كما نجد مصطلح النقد المعرفي و المثاقفة عند النّاقّد محمد مفتاح، بحيث يُعد هذا المصطلح امتداد للحركة المعرفية النسقية في مشروعه النقدي.³

¹ عز الدين المناصرة، الهويات والتعددية اللغوية (قراءة في ضوء النقد الثقافي المقارن)، الصايل للنشر و التوزيع، (د، ط، 2013م، ص9-10.

² المرجع نفسه، ص10.

³ ضياء الكعبي، السرد العربي القديم (الأنساق الثقافية و إشكاليات التأويل)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط1، 2005م، ص519.

• النقد الثقافي عند عبد الله الغدامي:

يعتبر الغدامي من أهم النقاد العرب الذين تأثروا بفكر ليتش، حيث أسفر عن هذا التأثير كتاب نقدي يحمل عنوان: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية سنة 2000م. وهو العمل النقدي الأول الذي تبنى النقد الثقافي في النقد العربي المعاصر. فقد كان له السبق في اعتماد النقد الثقافي في الدراسات النقدية العربية، يقول عليمات: "لقد أخذ الغدامي على عاتقه مشروع النقد الثقافي في الوطن العربي بوصفه آلية جديدة في قراءة النصوص"¹

يقول عبد الله الغدامي: "نزعم في عرضنا لمشروع النقد الثقافي، أن في الخطاب الأدبي والشعري تحديداً، قيماً نسقية مضمرة، تتسبب في التأسيس لنسق ثقافي مهيمن ظلت الثقافة العربية تعاني منه على مدى مازال قائماً، ظلّ هذا النسق غير منقود و لا مكشوف بسبب توسله بالجمال الأدبي، و بسبب عمى النقد الأدبي عن كشفه، مذ إنشغل النقد الأدبي بالجمالي و شروطه أو عيوب الجمالي، ولم ينشغل بالأنساق المضمرة".²

فمشروع الغدامي دعوة صريحة لتبني النقد الثقافي كممارسة نقدية من أجل قراءة الأنساق الثقافية المضمرة من خلال قراءة النصوص الأدبية - الشعرية - متجاوزا النقد الأدبي الذي يهتم بالنص من الناحية الجمالية/ البلاغية، " فالنص الأدبي يُعامل معه ليس بوصفه نصاً جمالياً بل بمثابة نسق ثقافي يؤدي وظيفة نسقية ثقافية تضر ما هو مضاد للمعلن في النص الأدبي، و يُقصى الجانب الجمالي و وظيفته الشعرية لأنّه يؤدي إلى (العمى الثقافي) الذي لا يجعلنا نرى أو نكتشف (الحيل الثقافية) التي يتوسم بها لتمرير أنساقه المضمرة".³ كما أنّ هذا يؤكد على أنّ التركيز في ما هو جمالي في قراءة النصوص

¹ يوسف عليمات، جماليات التحليل الثقافي (الشعر الجاهلي نموذجاً)، دار الفارس، عمان، ط1، 2004م، ص34.

² عبد الله الغدامي و عبد النبي إصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر، دمشق، ط1، 2004م، ص31.

³ سمير الخليل، فضاءات النقد الثقافي من النص إلى الخطاب، كلية الآداب، العراق، ط3، ص03.

الشعرية يجعل الناقد في غفلة عن العيوب النسقية للخطاب، و هو ما قاله في كتابه "النقد الثقافي": لقد أدّى النقد الأدبي دوراً مهماً في الوقوف على جماليات النصوص، و في تدريبنا على تذوق الجمالي، و لكن النقد الأدبي مع هذا و على الرغم من هذا أو بسببه، أوقع نفسه و أوقعنا في حالة من العمى الثقافي التّام عن العيوب النسقية المختبئة من تحت عباءة الجمالي¹.

ولقد واصل الغُدّامي طرحه حول النّقد الثقافي و ذلك من خلال تأليفه لكتاب مشترك مع النّاقِد السّوري "عبد النبي إصطيف" بعنوان: "نقد ثقافي أم نقد أدبي" مؤكداً من خلاله على فكرة "موت النقد الأدبي" كما نعهده، و بمدارسه القديمة و الحديثة قد بلغ حد النضج، أو سِنَّ اليأس حتى لم يعد بقادر على تحقيق متطلبات المتغير المعرفي و الثقافي الضخم الذي نشهده الآن عالمياً².

كما أنّ للغُدّامي دراسات أخرى عديدة في مجال النقد الثقافي.

• ما بعد الغُدّامي:

إنّ الدراسات في النقد الثقافي لم تبق حكرًا على الغُدّامي و لم تتوقف عنده، بل ظهر العديد من النّقاد الذين اهتموا بهذا النّقد و حاولوا ممارسته على الأعمال الأدبية ومنهم: يوسف عليّات وما قدّمه في كتابه "جماليات التحليل الثقافي" - الشعر الجاهلي أنموذجاً - الذي يقول في مقدمته: "نُقدّم في هذه الدراسة تصوّرًا جديدًا للنّص الشعري الجاهلي انطلاقًا من أطروحات جماليات التحليل الثقافي، الذي يولي الأنساق المتمركزة في

¹ عبد الله الغُدّامي، النقد الثقافي، ص 07-08.

² عبد الله الغُدّامي وعبد النبي إصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، ص 12.

البنى النصية أهمية كبيرة للكشف عن تشكلات هذه الأنساق و وظيفتها المؤسسة للمعاني و الرموز و الدلالات".¹

- **سعد البازعي وميجان الرويلي** خلفاً إهتماماً بتحديد مصطلح النقد الثقافي من خلال إتجاهين أحدهما قائم على إستقصاء الثقافة العربية و تقويمها و أمّا الآخر قائم على أساس الصورة الغربية التي فيها انفتح على ما بعد البنيوية و تمثل مسعى جادا لإستكشاف مشكلات عميقة في الثقافة العربية من خلال أدوات النقد الثقافي.²

- **عبد القادر الرباعي** قدّم هو الآخر كتاباً موسوماً بـ "تحولات النقد الثقافي" حيث إهتم في الفصل الأول من كتابه على أهمّ الدراسات الثقافية العربية و تطورها، وذلك في قوله: "إنّ الدراسات الثقافية هي التي تجمع أطياً مختلفة تشبه في تجمعها ألوان قوس قزح المتنوعة، وهذه الأطياف المختلفة هي ما تضمنه النظرية النقدية المعاصرة"³

وقد كانت هذه الدراسات من أهم مراحل النّقد الثقافي عند العرب.

4- الدراسات الثقافية و النقد الثقافي:

إشتهر النقد الثقافي " بوصفه مبحثاً حيويّاً داخل الدراسات الثقافية لِدَا من الضروري التمييز بين (الدراسات الثقافية) من جهة و (النقد الثقافي) من جهة ثانية، فقد إلتبس الأمر على كثير من النّاس حين خلطوا بين كتابات الدراسات الثقافية و بين النقد الثقافي"⁴

لقد شهدت الدراسات الثقافية إزدهاراً ملحوظاً و حظيت بمساحة واسعة من الإهتمام في العقد الأخير من القرن الماضي، إذ شكّلت خلفية معرفية لكثير من الدراسات التي شملت موضوعات متعددة، كتلك التي تتصل بقضايا الذات و الهوية، و المرأة... إلخ، بيد أنّ البداية

¹ يوسف عليمات، جماليات التحليل الثقافي، ص15.

² المرجع نفسه، ص15.

³ عبد القادر الرباعي، تحولات النقد الثقافي، دار جرير، الأردن، ط1، 2007م، ص15.

⁴ ينظر: عبد الله الغدامي و عبد النبي إصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، ص37.

الرسمية لهذه الدراسات كانت مع تأسيس مركز برمنجهام للدراسات الثقافية المعاصرة بإنجلترا عام 1964م، إذ كان لهذا المركز الفضل الكبير في توجيه الاهتمام إلى ثقافة الجماهير و تفاعلها مع وسائل ترويجها و طرائق إستهلاكها.¹

كما إستجوبت الدراسات الثقافية ممارسات النقد الأدبي التقليدية و ممارسات النظرية الجمالية و لعبت فيها دورًا حاسمًا وتبنت دور مساءلة العلوم المنتمية إلى الحقل الإجتماعي، و علوم الإنسان² و لقد وسعت الدراسات الثقافية دائرة اشتغالها و صار ممكناً أن تدرس النصوص و الخطابات برؤى و منهجيات مختلفة لا تتحصر في الوسائط اللغوية أو الجمالية بل ضمن الوسائط الاتصالية والوظائفية المستحدثة المختلفة التي أشاعتها الثقافة (السمعبصرية) الجديدة و وسائط الاتصال الجماهيرية و الشعبية و وسائط الميديا.³ فالدراسات الثقافية لم تركز على ما يخص البنية اللغوية للنص بل صارت تستخدم النص لإستكشاف أنماط معينة كالتصوير و التمثيل.

أمّا ليتش v.letch فيقول عن الدراسات الثقافية: "يعد التشكيل الحديث نسبياً للدراسات الثقافية، لاسيما في بريطانيا خلال السبعينيات من القرن العشرين، لحظة تأسيس و إزدهار بارزة في التاريخ الطويل للنقد الثقافي".⁴

فالدراسات الثقافية والنقد الثقافي مصطلحان متدخلان يدلان تحديداً على الدراسات التي تشغل بصورة مركزة على تفكيك البنى الثقافية وتحديث علاقاتها والإحاطة بأنساقها ومهيمنات إنتاج المعاني الإيديولوجية وكشف السياقات الثقافية والسياسية والإجتماعية ومعرفة مرجعيات الخطاب الثقافي.

¹ ينظر: عبد الرحمان بن إسماعيل السماعيل، الغدامي الناقد قراءات في مشروع الغدامي النقدي، كتاب الرياض، الرياض، العدد 97-98، ديسمبر 2001م، ص 90-91.

² إسماعيل حمادي، "النقد الثقافي: مفهومه، منهجه، إجراءاته"، مجلة كلية التربية، واسط، العدد 13، 2013م، ص 11.

³ سمير الخليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية و النقد الثقافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دط)، 2014م، ص 166.

⁴ جون ستوارن، البنيوية وما بعدها، تر: جابر عصفور، عالم المعرفة، الكويت، 1999م، ص 14-15.

فالفرق بين مصطلحي (الدراسات الثقافية) و(النقد الثقافي) هو كالفرق بين مصطلحي (الدراسات الأدبية) و (النقد الأدبي) الأول يعني حقول الممارسة النقدية ومناهجها، والثاني يعني الممارسة نفسها.¹

غير أنَّه توجد فروقات بين الدراسات الثقافية والنقد الثقافي يمكن تلخيصها في ما يلي :

✓ النقد الثقافي يتعامل مع نسق مضمر ما ورأى لا يظهر على سطح النص أو الخطاب بينما تهتم الدراسات الثقافية بظواهر ثقافية لها حضور في الخطاب أو النص وفيها نسق ثقافي ظاهر.

✓ الخطاب في النقد الثقافي يكون جماهيرياً ومقبولاً ومستهلكاً على الأغلب بينما الدراسات الثقافية لا تميز هذا عن ذاك فقد يكون الخطاب نخبويًا وليس جماهيرياً ولكنها تقوضه وترفض سياقاته وأنظمتها بقوة.

✓ في النقد الثقافي هناك أدوات إجرائية فهو يبحث عن النسق المضمر والعيوب النسقية، لخصها عبد الله الغدامي بالجملة الثقافية والتورية الثقافية وغيرها وذلك لا وجود له في الدراسات الثقافية.

✓ ومن أوجه التداخل بينهما مواجهة الخطابات المؤسساتية وتفكيكها ولا تستجيب لها بل تهتم بالمهمل والمهمش والمقصي في الخطاب بوصفه شعبياً.

✓ التاريخ في النقد الثقافي حالة متجددة ممتدة من الماضي إلى الحاضر وليس مجرد حقائق ووثائق ووقائع جامدة وهذا من أسباب التداخل أيضاً.²

لهذا فقد عُدَّت الدراسات الثقافية اللبنة الأولى لنشأة النقد الثقافي لدرجة أنَّ هناك خلطاً في النقد العربي المعاصر بينها وبين النقد الثقافي الذي يعتبر نشاطاً مختلفاً عن الدراسات الثقافية.

¹ إسماعيل حمادي، "النقد الثقافي: مفهومه، منهجه، إجراءاته"، ص 11.

² سمير الخليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، ص 166-167.

5- الآليات الإجرائية في النقد الثقافي :

يعتمد النقد الثقافي على أدوات ومفاهيم تطبيقية في دراسته أو مقارنته للنصوص، "ولقد أراد الغدامي أن يجعل النقد الأدبي أداة فعالة في نقد الثقافة السائدة والذائقة النقدية المستهلكة، فهدفه تحويل الأداة النقدية من أداة لقراءة الجمالي الخالص ... إلى أداة لنقد الخطاب، الذي يجسده النص وكشف النسق الفكري الذي يعبر عنه".¹

يقول الغدامي: "إنَّ الأداة النقدية كمصطلح و كمنظريّة مهياة لأداء أدوار أخرى غير ما سخرت له على مدى قرون من الممارسة و التنظير من خدمة للجمالي و تبرير له و تسويق لهذا المنتج و فرضه على الاستهلاك الثقافي، وبما أنَّ الأداة النَّقدية مهياة لهذه الأدوار النقدية الثقافية... فإنَّ التفريط بها أو التخلي عنها سيحرمانا من وسيلة ناجعة و سيجعلنا خاضعين لسلطة الخطاب المدروس أو لهيمنة المقولة الفلسفية التي يستند إليها تفكيرنا".² فالنقد الثقافي إذن ليس إلغاء للنقد الأدبي، بل إنه سيعتمد على أدوات النقد الأدبي في تحقيق أهدافه المنهجية.

و في سبيل تحقيق هذه الأهداف اقترح الغدامي إحداث نقلة نوعية للفعل النقدي من كونه الأدبي إلى كونه الثقافي و ذلك من خلال:

إضافة عنصرا سابعاً وهو (العنصر النسقي) إلى عناصر الرسالة الستة المعروفة كما هي عند رومان جاكسون في نموذج الاتصال وهي: "المرسل، المرسل إليه، الرسالة، السياق، الشفرة، أداة الاتصال".³ و للعنصر النسقي وظيفة لا توفرها أي من العناصر الستة الأصلية إذ به نكشف البعد النسقي في الخطابات وفي الرسالة اللغوية و عليه تقوم منظومة

¹ إسماعيل حمادي، النقد الثقافي: مفهومه، منهجه، إجراءاته، ص 13.

² عبد الله الغدامي، النقد الثقافي - قراءة في الأنساق الثقافية العربية-، ص 60.

³ إسماعيل حمادي، النقد الثقافي: مفهومه، منهجه، إجراءاته، ص 14.

من المصطلحات و التصورات نعتد عليها في بناء التصور النظري و المنهجي لمشروع النقد الثقافي. و عبّر العنصر السابع تتولد الدلالة النسقية¹.

فبإضافة الوظيفة النسقية سيوجه النظر إلى الأبعاد النسقية المتحركة في مجمل الخطابات.

1.5 - الدلالة النسقية:

و من إعتبار أنّ الدلالة النسقية وليدة العنصر النسقي فستصبح الدلالة النسقية ما يصبو الناقد الثقافي إلى إكتشافه، يقول عبد الله الغدامي: " حاجتنا إلى الدلالة النسقية هي لب القضية، إذ أنّ ما نعهده من دلالات لغوية لم تعد كافية لكشف كل ما تخبئه اللغة من مخزون دلالي... و الدلالة النسقية هي قيمة نحوية ونصوصية مخبوءة في المضمّن النصي في الخطاب اللغوي. ونحن نسلم بوجود الدالّتين الصريحة والضمنية، وكونهما ضمن حدود الوعي المباشر... أمّا الدلالة النسقية فهي في المضمّن وليست في الوعي و تحتاج إلى أدوات نقدية مدققة تأخذ بمبدأ النقد الثقافي لكي تكتشفها".²

2.5 - الجملة الثقافية:

و من خلال الكشف عن الدلالة النسقية، " سنكون أمام نوع ثالث من الجمل يضاف إلى الجملة النحوية، ذات المدلول التداولي و الجملة الأدبية ذات المدلول الضمني و البلاغي وهي الجملة الثقافية التي سيتم من خلالها التمييز بين ما هو أدبي وما هو ثقافي".³

و يمكن القول عنها بأنّها: " مفهوم يمس الذبذبات الدقيقة للتشكيل الثقافي الذي يفرز صيغه التعبيرية المختلفة".⁴

¹ عبد الله الغدامي وعبد النبي إصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، ص26.

² المرجع نفسه، ص26-27.

³ إسماعيل حمادي، النقد الثقافي: مفهومه، منهجه، إجراءاته، ص14.

⁴ عبد الله الغدامي، النقد الثقافي-قراءة في الأنساق الثقافية العربية-، ص73.

كما أنّها: "ليست عددًا كمياً، إذ قد نجد جملة ثقافية واحدة في مقابل ألف جملة نحوية، أي إنّ الجملة الثقافية هي دلالة إكتنازية و تعبير مكثف".¹

ومنه نستنتج أنّ هناك ثلاث أنواع من الجمل:

- الجملة النحوية المرتبطة بالدلالة الصريحة.
- و الجملة الأدبية المرتبطة بالقيم البلاغية و الجمالية.
- و الجملة الثقافية المرتبطة بالدلالة النسقية، فهي المتداولة عن الفعل النسقي في المضمّر الدلالي. وهذه الأخيرة هي التي يهتم النقد الثقافي بالكشف عنها.

3.5- المجاز الكلي:

يقدمّ النقد الثقافي قراءة جديدة لبعض المفاهيم النقدية ومنها المجاز الكلي حيث هو: "المفهوم البديل عن المجاز البلاغي، وفي المجاز الكلي تنشأ الجملة الثقافية وتنشأ الدلالة النسقية".²

يعرفه عبد الله الغدامي بقوله: "المَجاز الكليّ هو الجانب الذي يمثل قناعاً تتقنع به اللغة لتتمرر أنساقها الثقافية دون وعي منا، حتى لنصاب بما سمّيته من قبل بالعمى الثقافي".³

ففي الخطاب اللغوي يكمن المضمّر النسقي متوسلاً بالمجاز ليتمرر دلالات غير واضحة، يحتاج إلى الغوص في التكوين النسقي للغة من أجل كشفه. يقول الغدامي مؤكداً على توسل المضمّر النسقي بالمجاز: "مع كل خطاب لغوي هنالك مضمّر نسقي يتوسل

¹ عبد الله الغدامي وعبد النبي إصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، ص28.

² جميل حمداوي، النقد الثقافي بين المطرقة والسندان، موقع ديوان العرب، ضمن الرابط

الالكتروني 30: 11/4-2021/14 http://www.diwanalarab.com

³ المصدر السابق، ص28-29.

بالمجازية والتعبير المجازي، ليؤسس عبره قيمة دلالية غير واضحة المعالم، يحتاج كشفها إلى حفر في أعماق التكوين النسقي للغة، وما تفعله في ذهنية مستخدميها.¹

4.5 - التورية الثقافية :

استعار الغدامي مصطلح التورية من البلاغة العربية غير أنه لا يقصد المفهوم التقليدي لها فيقول: "إنَّ التورية مصطلح دقيق ومحكم وهو في المعهود منه يعني وجود معنيين أحدهما قريب والآخر بعيد، والمقصود هو البعيد، وكشفه هو لعبة بلاغية منضبطة، ونحن هنا نوسع من مجال التورية لا لتكون بهذا المعنى البلاغي المحدد، ولكننا نقول بالتورية الثقافية، أي إن الخطاب يحمل نسقين، لا معنيين، واحد هذين النسقين واع والآخر مضمّر".²

فالتورية الثقافية غير التورية في البلاغة العربية التي تهتم بالمعنى البعيد من أجل تفسيره، إنَّ التورية الثقافية تعني بالخطاب إذ ينطوي على بعدين واع وآخر مضمّر لاشعوري وجب الكشف عنه.

5.5-النسق المضمّر:

يأتي مفهوم "النسق المضمّر" في النقد الثقافي "بوصفه مفهوماً مركزياً، والمقصود هنا أنَّ الثقافة تملك أنساقها الخاصة التي هي أنساق مهيمنة وتتوسل لهذه الهيمنة عبر التخفي وراء أفنعة سميكة وأهم هذه الأفنعة وأخطرها هو قناع الجمالية...وليست الجمالية إلا أداة تسويق وتميرير لهذا المخبوء وتحت كل ما هو جمالي هناك مضمّر نسقي، ويعمل الجمالي على التعمية الثقافية لكي تظل الأنساق فاعلة ومؤثرة ومستديمة من تحت القناع".³ فللنَّسق

¹ عبد الله الغدامي وعبد النبي إصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي ، ص28.

² المرجع نفسه، ص29.

³ سمير الخليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، ص293.

المضمر تأثير خفي على الذهنيات، فهو كامن تحت البلاغي والجمالي يمارس تأثيره دون رقيب.

ولقد ركز "عبد الله الغذامي" على النسق المضمر كونه يمثل جمالية خاصة للنص الأدبي، حيث يقول: "و النسق ذو طبيعة سردية يتحرك في حبكة مقنعة ولذا فهو خفي ومضمر وقادر على الاختفاء دائماً، ويستخدم أقنعة كثيرة أهمها قناع الجمالية اللغوية، وعبر البلاغة وجمالياتها تمرّ الأنساق آمنة مطمئنة من تحت هذه المظلة".¹ فالنقد الثقافي يركز على النسق المضمر، كونه مجال البحث المخصص به دون المناهج الأخرى، وإذ أنّ له فاعليّة و تأثير داخل الأعمال الفنية فهو يهتم بالوظيفة النسقية في النقد الثقافي.

6.5 - المؤلف المزدوج:

ونعني بالمؤلف المزدوج "أنّ هناك مؤلفاً آخر بإزاء المؤلف المعهود، وذلك هو أنّ الثقافة ذاتها تعمل عمل مؤلف آخر يصاحب المؤلف المعلن، و تشترك الثقافة بغرس أنساقها من تحت نظر المؤلف، ويكون المؤلف في حالة إبداع كامل الإبداعية حسب شرط الجميل الإبداعي، غير أننا سنجد من تحت هذه الإبداعية و في مضمر النص سنجد نسقاً كامناً وفاعلاً ليس في وعي صاحب النص...إنّنا نقول بمشاركة الثقافة كمؤلف فاعل و مؤثر والمبدع يبدع نصّاً جميلاً فيما الثقافة تبدع نسقاً مضمرّاً".²

إذن فالمقصود بالمؤلف المزدوج أنّ هناك مؤلف معلن وهو صاحب الإبداع و مؤلف آخر يصاحب هذا المؤلف المعلن وهو الثقافة وتشترك بغرس أنساقها دون وعي المؤلف المعهود و لا في وعي الرعية الثقافية.

¹ عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية، ص79.

² عبد الله الغذامي وعبد النبي إصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، ص23-24.

فالغذامي يرى بأن المؤلف مؤلفان: "مؤلف فرد له خصوصية شخصية، و مؤلف آخر ذو كيان رمزي. إنَّه الثقافة التي تصوغ بأنساقها المهيمنة وعي المؤلف الفرد ولا وعيه على حد سواء و مهما حاول الأول أن يعبرَ عما يريد، فإنَّ أفكاره و مواقفه سوف تنتظم في أطر كبرى تعمل على صوغ منظوراته، ونوع القضايا التي يتطرق إليها، فالمؤلف الفرد هو نتاج المؤلف الثقافة".¹

6- أهداف النقد الثقافي:

إنَّ النقد الثقافي نقد ما بعد بنيوي تبلور من خلال جهود العديد من النقاد والمفكرين لتخليص الدراسات النقدية من ربة النقد الأدبي فتحوّلت الأداة النقدية من قراءة الجمالي الخالص وتبريره إلى "استخدام أدوات النقد في مجالات أعمق وأعرض من مجرد الأدبية، مجال ما وراء الأدبية... ذلك أن الفعل الجماهيري و الثقافي يقع تحت تأثير ما هو غير رسمي، فالأغنية الشبابية والنكتة والإشاعات واللغة الرياضية والإعلامية، والدراما التلفزيونية، وما إلى ذلك، هو ما يؤثر فعلاً أكثر من قصائد الشعراء و كتاباتهم الراقية والتي سخر النقد جهده كله فيهم، غافلاً عن الخطابات الفاعلة لمجرد أنَّها ليست ممَّا يحسب في حساب الراقى".²

- لذلك يسعى مشروع النقد الثقافي إلى التعامل مع النصوص على "اعتبار النص علامة ثقافية قبل أن يكون قيمة جمالية".³
- فهدف النقد الثقافي إذن هو التعامل مع النصوص، وذلك باعتبار النص علامة ثقافية، وأهم ما يقوم عليه النقد الثقافي: "دراسة الأعمال الهامشية التي لطالما أنكر النقد

¹ حسين السماهيجي وآخرون، عبد الله الغذامي و الممارسة النقدية و الثقافية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط1، 2003م، ص45.

² ينظر: عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية، ص15.

³ يوسف عليمات، النسق الثقافي قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم، ص166.

الأدبي قيمتها أو أهميتها بحكم أنها لا تخضع لشروط الذوق النقدي، أي إستعداد الناقد لمساءلة الخطاب النقدي ذاته مع إنفتاحه على النصوص و الكتابات الهامشية".¹

- فالنقد الثقافي يحاول تجاوز التصنيف المؤسساتي للنص بوصفه وثيقة جمالية إلى الإنفتاح على الخطاب بوصفه ظاهرة ثقافية، " أي أنه يفتح على مجال عريض من الاهتمامات إلى ما هو غير محسوب في حساب المؤسسة وإلى ما هو غير جمالي في عرف المؤسسة سواء أكان خطاباً أم ظاهرة".²

- ويهدف النقد الثقافي أيضاً إلى " تحليل الشروط المؤثرة بالثقافة السائدة وبالمؤسسات الثقافية ودلالاتها، والنقد الثقافي نقد حضاري اجتماعي يفتح على مجالات من الاهتمام التي تُعنى بنقد الخطاب الثقافي بحقوله المتنوعة مستفيداً من مناهج العلوم الإنسانية والفلسفة والسياسة وعلم الاجتماع الألسنيات".³ فالنقد الثقافي يقوم بدراسة ما هو جمالي وغير جمالي بعيداً عن الانتقائية المتعالية التي تفصل بين النص النخبوي والنص الشعبي.

كما يعمل النقد الثقافي على "ربط الأدب بالعلوم الإنسانية كالتاريخ، وعلم الاجتماع وعلم النفس، والفلسفة... الخ، مما يساهم في إثراء النص و الساحة الثقافية".⁴

فالنقد الثقافي يفتح على عدة مجالات سواء ما كان نخبوياً ومؤسستياً أم ما كان شعبياً مبتدلاً، مُستعينا بمختلف العلوم الإنسانية وكذا أدوات النقد الأدبي للوصول إلى الأنساق الثقافية.

7-النسق الثقافي:

1.7 - مفهوم النسق:

¹ إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث (من المحاكاة إلى التفكير)، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2003م، ص139.

² عبد الله الغدامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية، ص32.

³ إبراهيم الحيدري، النقد بين الحداثة و ما بعد الحداثة، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 2012م، ص470.

⁴ إسماعيل حمادي، النقد الثقافي: مفهومه، منهجه، إجراءاته، ص24.

1.1.7 - لغة:

أوردت لفظة النَّسَق في مادة "نسق" في (لسان العرب) لابن منظور حيث يقول: "النَّسَق من كل شيء: ما كان على طريقة نظام واحد، عامٌّ في الأشياء، وقد نَسَقْتُهُ تَنْسِيقًا".¹

أمّا في (قاموس المحيط) فقد وردت كلمة النسق بمعنى: "ما جاء من كلام على نظام واحد... وأنسق، أي تكلم سجعاً، التنسيق هو التنظيم... وتناسقت الأشياء و أنسقت أي تنسقت ببعضها البعض".²

و ورد في (معجم الوسيط): "نَسَق الشيء -نَسَقًا: نظمته، يقال: نسق الدر، ونسق كُتبه. والكلام: عطفَ بعضه على بعض. (أنسق) فُلانٌ: تكلم سجعاً. (ناسق) بين الأمرين: تابع بينهما ولازم. (نَسَقَه): نَظَّمَه. (النَّسَق) ما كان على نظام واحد من كل شيء. يقال جاء القوم نَسَقًا، وزُرِعت الأشجار نَسَقًا".³

وجميع هذه الأقوال تختلف لفظاً وتتفق معنى فهي تعبر عن نظام من العناصر المترابطة فيما بينها، فهو يدل على التنظيم والترابط والتماسك.

وتعني كلمة نسق (système) في اللغة اليونانية القديمة (sustema) التنظيم والتركيب والمجموع، أي أنها تشترك مع المعنى المعجمي العربي في معنى التنظيم.

وقد جاء في موسوعة لالاند الفلسفية (système) نسق، نظام، منظومة، سرد جهاز.⁴

¹ ابن منظور، لسان العرب، مج10، مادة "نسق"، ص352.

² مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي، قاموس المحيط، ص925.

³ المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مجمع اللغة العربية، مصر، ط4، 2004م، ص918.

⁴ أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ج3، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، لبنان، 2001م، ص1417.

2.1.7 - اصطلاحًا:

يعرفه لالاند في معجمه: "هو جملة عناصر مادية أو غير مادية، يتعلق بالتبادل بعضها ببعض، بحيث تشكل كلاً عضوياً.

ويتحدد النسق أيضاً بواسطة مكوناته وعناصره وبنياته التي يتضمنها، ومن خلال مختلف التفاعلات التي تقيمها العناصر فيما بينها.¹

والنسق عند (م. فوكو) علاقات، تستمر وتتحول بمعزل عن الأشياء التي تربط بينها.

ويعمل النسق على بلورة منطق التفكير الأدبي في النص.

كما يحدد النسق الأبعاد والخلفيات التي تعتمدها الرؤية.²

- وتدل كلمة النسق (système) في المعاجم الأجنبية الحديثة والمعاصرة، على مجموعة من العلامات اللسانية والأدبية والثقافية، أو على مجموعة من العناصر والبنى التي تتفاعل فيما بينها، وفق مجموعة من المبادئ والقواعد والمعايير.³

و من خلال التعريفات اللغوية والإصطلاحية نخلص إلى أنَّ النسق عبارة عن نظام من العناصر والبنى والوشائج التي تتعالق وتتفاعل فيما بينها مشكلة لنا منظومة مترابطة وفق قواعد ومعايير.

¹ أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية ، ص1417.

² سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص211.

³ walliser Bernard نقلا عن: معاشو بووشمة، الأنساق الثقافية في الشعر الجاهلي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2019م، ص44.

2.7 - مفهوم النسق الثقافي:

يرى "غريتش" أنَّ النسق الثقافي يعمل بوصفه "مرشدًا للعمل و مسودة للسلوك"¹

فهو المحرك و الميسر للسلوك الإنساني، فتصرفات الإنسان مقيدة بما يمليه عليه النسق الثقافي، ومن هنا نجد غريتش يقول عن الإنسان بأنه: أكثر الكائنات المحكومة وعلى نحو يائس، بميكانزمات الضبط والتحكم التي تتجاوز الميكانزمات الوراثية كتلك البرامج الثقافية، التي تنظم سلوكه.²

وقد اهتمَّ عبد الله الغدامي لتأسيس مفهومه عن الأنساق الثقافية باعتبارها "أنساق تاريخية أولية وراسخة ولها الغلبة دائماً، وعلامتها هي إندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتج الثقافي المنطوي على هذا النوع من الأنساق، وكلما رأينا منتجاً ثقافياً أو نصّاً يحضى بقبول جماهيري عريض وسريع فنحن في لحظة من لحظات الفعل النسقي المضمّر الذي لا بد من كشفه والتحرك نحو البحث عنه، فالاستجابة السريعة والواسعة تنبئ عن محرك مضمّر يشبك الأطراف ويؤسس للحبكة النسقية، وقد يكون ذلك في الأغاني أو في الأزياء أو الحكايات والأمثال مثلما هو في الأشعار والإشاعات والنكت. كل هذه وسائل وحيل بلاغية/جمالية تعتمد المجاز والتورية وينطوي تحتها نسق ثقافي ثاوٍ في المضمّر ونحن نستقبله لتوافقه السري وتواطئه مع نسق قديم منغرس فينا".³ فالأنساق الثقافية ذات هيمنة وتأثير في الحشود والجماهير مندسة في المضمّر المتوسّل بالجمالي و البلاغي لضمان إنتشاره ولا بدّ من كشفه والبحث عنه من خلال آليات النقد الثقافي.

فالنسق الثقافي يُعتبر مفهوماً مركزياً في مجال النقد الثقافي. والأنساق الثقافية بمثابة "قوانين/ تشريعات أرضية من صنع الإنسان في مقابل التعاليم السماوية التي أنزلها الله في

¹ إسماعيل حمادي، النقد الثقافي: مفهومه، منهجه، إجراءاته، ص15.

² المرجع نفسه، ص16.

³ عبد الله الغدامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية، ص80.

الأديان، ووضعها الإنسان لضبط نفسه ولتصريف أموره في الحياة وهي تعبر عن تصور الإنسان القديم لما ينبغي أن تكون عليه الحياة والأنساق الثقافية قابلة للتطور شأنها شأن كل عناصر الحياة".¹

إنَّ النسق الثقافي خطر، "وخطورته هي كونه مضمراً وكامناً حيث يمارس تأثيره دون رقيب، وحينما يأتي النقد لكشف هذه الأنساق فإنَّه بذلك يحرك سكواً ذهنياً وبشراً كان مطمئناً ومن ثم راضياً عن نفسه".² فالنسق يستخدم أقنعة ويمارس تأثيره على المتلقي دون وعي هذا الأخير أمّا مهمة النقد فهي كشف وتوعية هذه الأنساق وتوعية المتلقي بها وبخطورتها.

8- نشأة النسق "النص من البنية إلى النسق":

تعدّد تعريف النصّ في الدراسات الغربية تعدّداً كبيراً إلى حدّ الاختلاف ومن هذه التعريفات قول **بريكنز**: "النصّ هو تتابع مترابط من الجمل، ويستنتج من ذلك أن الجملة بوصفها جزء صغيراً يرمز إلى النصّ، و يمكن تحديد هذا الجزء بوضع نقطة أو علامة استفهام أو علامة تعجب، ثم بعد ذلك وصفها أنها وحدة مستقلة نسبياً".³

فهو إذن مجموعة من الجمل المترابطة وفق نظام معين، وجزؤها الصغير هو الجملة وتُحدد بعلامات الوقف أو الترقيم.

أمّا **جوليا كريستيفا** فتري أنّ النصّ: "جهاز عبر لساني، يعيد توزيع نظام اللسان عن طريق ربطه بالكلام التواصل، رامياً بذلك إلى الإخبار المباشر، مع مختلف أنماط

¹ أحمد يوسف عبد الفتاح، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، الجزائر، ط1، 2010م، ص151.

² إسماعيل حمادي، النقد الثقافي: مفهومه، منهجه، إجراءاته، ص16.

³ برنرد شبلنر، علم اللغة والدراسات الأدبية، تر: محمود جاد الرب، جامعة الملك سعود، الرياض، (دب)، ص188.

الملفوظات السابقة والمعاصرة".¹ وعليه يمكن اعتبار النص جهازاً منظماً ولسانياً، تتوزع وحداته حسب المواقف التواصلية المختلفة.

ومنه فإنّ "نظام بناء النص هو محط إهتمام الدارس البنيوي، حيث ينظر إلى الأبنية التي تتجم عن إجتماع بعض العناصر في النص، والنظام الذي يتشكل من إطراد هذه الأبنية لذلك تعرّف البنيوية بأنّها مجموعة من العلاقات الثابتة بين عناصر متغيرة".²

ويعدّ العالم اللغوي **فرديناند دي سوسير** الرائد الأول للبنيوية بالرغم من أنّه لم يستخدم مصطلح بنية في محاضراته أو بحوثه، ويؤكد الدارسون المحدثون على أنّ "دوسوسير هو الأب الحقيقي للسانيات، لأنّه وضّح إختصاصها ومناهجها وحدودها وأثرى الدراسات الإنسانية بالكثير من الأفكار اللغوية الرائدة حتى صارت اللسانيات باعثة لنهضة علمية تولّد منها علوم ومناهج جديدة".³ فقد كان للسانيات دور كبير في ظهور مناهج تهتم بالنص وعناصره الداخلية عكس ما كان سائداً من مناهج سياقية والتي تعتمد في مقاربتها للنصوص على المؤثرات الخارجية والتي أحاطت بميلاد النص الأدبي.

فقد كانت محاضراته "تمثل البداية المنهجية للفكر البنيوي في اللغة وذلك عبر مجموعة من الثنائيات المتقابلة...وهي: "اللغة والكلام" و "المدلول والمطلوب" و "الآنية والزمانية" و "الوصفية والتاريخية".⁴

فكانت "فكرة دوسوسير عن اللغة بوصفها منظومة (système) تتألف من عناصر لا توصف بحدّ ذاتها بل من خلال تقابلها مع العناصر الأخرى باعثاً لنشوء البنيوية مع أنّ

¹ جوليا كريستيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي وعبد الجليل ناظم، دار توبقال، المغرب، ط2، 1997م، ص22.

² عدنان النحوي، الأسلوب و الأسلوبية، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1999م، ص40.

³ أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر آفاق معرفة متجددة، دمشق، ط3، 2008م، ص21.

⁴ ينظر: يوسف وغليسي، محاضرات في النقد الأدبي المعاصر، منشورات جامعة مانتوري، قسنطينة، 2004، 2005م،

دوسوسير لم يستعمل كلمة (structure) ¹ فدوسوسير إذن مهّد للمنهج البنيوي من خلال بحوثه في اللغة وعلومها، أمّا "مصطلح بنية فارتبط استخدامه في العصر الحديث بالمؤتمر الذي عقده الشكلاونيون الروس لعلوم اللسان في مدينة لاهاي سنة 1928م ويرون أنّ رومان جاكبسون هو أول من استخدم هذا المصطلح بمعناه الحديث، وذلك في البيان الذي أصدره في أعمال المؤتمر سنة 1929م".² ومنه أعتبرت "البنية بأنها ليست مجرد مجموعة من العناصر المتآزرة، ولكنّها كلّ تحكمه علاقاته الداخلية، وفق المبدأ المنطقي الذي يقضي بأولوية الكل على الأجزاء، وبالتالي لا يمكن فهم أيّ عنصر في البنية خارج الوضع الذي يشغله في الشكل العام".³ فالبنية كلّ تحكمه مجموعة من العناصر المتفاعلة فيما بينها، ولا يمكن فهم عنصر من عناصرها في غير موضعه في الشكل الكلي العام.

وعلى هذا الأساس فإنّ "البنيوية الأدبية في جوهرها تركز على أدبية الأدب وليس على وظيفة الأدب أو معنى النص، أي تحديد الخصائص التي تجعل الأدب أدباً، التي تجعل من القصة أو الرواية أو القصيدة نصّاً أدبياً، ولكي يتحقق ذلك لابد من دراسة علاقات الوحدات والبني الصغيرة بعضها ببعض داخل النص، في محاولة للوصول إلى تحديد للنظام أو البناء الكلي الذي يجعل النص موضوع الدراسة أدباً".⁴

وخلاصة القول أنّ البنيوية منهج من مناهج الحداثة اهتمت بنظام بناء النص، وعكفت على دراسة البنى والعناصر المكونة للنص الأدبي على غرار ما كان سائداً في المناهج السياقية، غير أنّ المنهج البنيوي وقع في مطبات كثيرة وعيوب أدّت إلى ظهور مقاربات ومناهج ما بعد حداثة تنظر للنص من جوانب أخرى، ومن هذه المقاربات النقد الثقافي وهو "نقد ما بعد البنيوية، تكون مهمته الأساسية تمكين النقد المعاصر من الخروج من نفق

¹ أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص 25.

² ينظر: يميني العيد، في معرفة النص، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1985م، ص 27-32.

³ صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998م، ص 133.

⁴ ينظر: عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة، العدد 232، الكويت، 1998م، ص 181-182.

الشكلانية والنقد الشكلي وغيرهما من المناهج الصارمة والأكثر حدة والتي حصرت الممارسات النقدية داخل إطار الأدب، كما تفهمه المؤسسات الأكاديمية "الرسمية" فقط، وبالتالي جاء النقد الثقافي لتمكين النقاد من تناول مختلف أوجه الثقافة ولاسيما تلك التي يُهملها عادة النقد الأدبي".¹

فالنقد الثقافي جاء كرد فعل للمنهج البنيوي الذي حصر النقد في إطار الأدب، ليوسع مجال البحث في مختلف أوجه الثقافي وأنساقها، فقد أولى النقد الثقافي كما أشرنا سابقاً اهتماماً كبيراً بالنسق، "ولقد أعطت الدراسات الغربية بعداً آخر لمفهوم النص بعد ما كان درس اللساني محصوراً في البنية الداخلية للغة، وفي وحداتها الصغرى على وجه الخصوص. فقد جاء النقد الثقافي ليبيّن الأبعاد الاجتماعية والتاريخية والإيديولوجية لخطاب/نص معين".² عكس ما كان مع المناهج البنيوية التي ضيّقت عمل النقد وحصرته في البحث عن أدبية الأدب.

إنّ النسق "نظام ينطوي على إستقلال ذاتي، يشكل كلاً موحداً وتقترن كليته بآنية علاقاته التي لا قيمة للأجزاء خارجها، وكان دي سوسير يعني بالنسق شيئاً قريباً جداً من مفهوم البنية".³

ومن هنا نستخلص أنّ النسق هو عنصر له نظام وله وظيفة وهي تعمل ضمن وظيفة جامعة لكل عناصر البنية، والنسق في النقد الثقافي يشكل مفهوماً مركزياً - كما أشرنا سابقاً - وبما أنّ الخطاب الأدبيّ يُعدّ حادثة ثقافية عند النقد الثقافي فالنسق يعدّ إفرازاً ثقافياً يستهلكه

¹ جيلالي جقال، "المناهج الأدبية بين المقاربة والتطبيق - النقد الثقافي والمقاربة النصية أنموذجاً"، أعمال اليوم الدراسي - إشكالية تطبيق المنهج في أطروحات دكتوراه الدراسات الأدبية، البدر الساطع للطباعة والنشر، العلمة، الجزائر، ط1، 25 أبريل 2018م، ص162.

² المرجع نفسه، ص164.

³ إدريث كريزويل، عصر البنيوية، تر: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1، 1993م، ص415.

الجمهور، وتكون الجماليات البلاغية قناعاً تمرُّ من خلاله الأنساق بأمان وهو بذلك ينقسم إلى:

1.8- النسق الظاهر (المعلن):

يتمثل النسق الظاهر في النقد الثقافي في "ما برز ونظم من جماليات وعبارات لها دلائل معينة داخل النص"¹ فالنسق الظاهر يعدُّ واجهة تحمل في طياتها دلائل مخفية، فالنسق الظاهر لا يُؤلَّى إهتماماً سوى بقدر ما يُعدُّ وسيلة ينفذ من خلالها إلى الأنساق المضمر المتوارية خلفه.

2.8- النسق المضمر (الخفي):

إنَّ النسق من حيث هو دلالة مضمر² ليس مصنوعاً من مؤلف ما، ولكنَّه فعل كتابة (مكتب) ومنغرس في ثنايا الخطاب، مؤلفه الأول هو الثقافة ذاتها يتحرك في حالة تخفٍ دائم و يستخدم أقنعة كثيرة، ويقتحم آلة العقول و الأزمنة، ومن شدة تأثيرها وامتدادها في القارئ، نلاحظ كيف يقبل الجمهور على إستهلاك الثقافة والطرب لها، ولو كانت ضدَّ ما يؤمن به عقلياً².

فالنسق المضمر متجذر داخل الخطابات ويمارس سلطته على المتلقي دون وعي هذا الأخير بذلك.

¹ نيكلاس لوتمان، مدخل إلى نظرية الأنساق، تر: يوسف فهما حجازي، منشورات الجمل، بغداد، العراق، ط1، 2010م، ص06.

² عليّة النجار، "الأنساق المضمر بين النقد الأدبي والنقد الثقافي"، مجلة كلية التربية الأساسية جامعة بغداد، كلية الدراسات الإسلامية، العدد68، 2011م، ص06.

ولا شك في أنَّ حضور النسق المضمّر في بنية النصّ: "يعكس صوراً تتضح بفعل القراءة العميقة لجذليات الصراع بكل أبعاده الإنسانية والزمانية والمكانية، من خلال المفارقات الشعرية والصور التنافرية والثنائيات الضدية ممّا يعزز مقولة هيمنة النسق".¹

ويمكن القول أنَّ النسق المضمّر هو نسق مركزي في إطار المقاربة الثقافية وباعتبار أنَّ كل ثقافة تحمل في طياتها أنساقاً مهيمنة، فإنَّ النسق الجمالي البلاغي في الأدب يخفي أنساقاً ثقافية مضمرة، إذاً فإنَّ الأدب ليس حاملاً للوظيفة الأدبية والشعرية فقط، بل هناك الوظيفة النسقية التي يهتم بها النسق المضمّر في النقد الثقافي. ومن هنا نعتبر أنَّ النسق الظاهر يعدُّ كالكشور التي تخبأ في دواخلها نواة أساسية، هي مبتغى وهدف الناقد الثقافي.

9- شروط النسق الثقافي:

لتحقيق مفهوم النسق المضمّر داخل النصّ يجب تحقيق الشروط الآتية²:

- وجود نسقين يحدثان معاً وفي آن، في نص واحد.
- أن يكون أحدهما مضمراً والآخر علنياً، ويكون المضمّر نقيضاً وناسخاً للمعلن ولو حدث وصار المضمّر غير متناقض للعلن فيسيخرج النصّ عن مجال النقد الثقافي.
- لا بُدَّ أن يكون النصّ موضوع الفحص نصّاً جمالياً، لأننا ندّعي أنَّ الثقافة تتوسل بالجمالي لتمرير أنساقها وترسيخ هذه الأنساق.
- لا بُدَّ أن يكون النصّ ذا قبول جماهيري ويحظى بمقروئية عريضة وذلك لكي نرى ما للأنساق من فعل عمومي ضارب في الذهن الاجتماعي والثقافي.

بهذه الشروط الأربعة يتحقق مفهوم النسق الثقافي (المضمّر) وهو كل دلالة نسقية مختبئة تحت غطاء الجمالي ومتوسلة بهذا الغطاء لتغرس ما هو غير جمالي في الثقافة.

¹ يوسف علميات، جماليات التحليل الثقافي "الشعر الجاهلي أنموذجاً"، ص 40.

² عبد الله الغدامي وعبد النبي إصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، ص 32.

إذن فالنسق المضمّر مكون أساسي وحضوره يستوجب كل هذه الشروط لتحقيق مفهومه داخل النص.

وللمحافظة على النسق والإبقاء عليه لابدّ من إتباع وتحقيق بعض الخطوات ذكرها **عبدالفتاح أحمد يوسف** حيث يقول: "النسق الثقافي ذو طابع جمعي يخضع لبنية اجتماعية ذات طقوس وشعائر جمعية، وينبغي لأي نسق حسب نظرية بارسونز أن يفي بأربعة متطلبات إذا كان يريد البقاء وهي¹:

- ✓ التكيف: إنّ كل نسق لابد أن يتأقلم مع بيئته.
- ✓ تحقيق الهدف: لابد لكل نسق من أدوات يحرّك بها مصادره كيما يحقق أهدافه وبالتالي يصل إلى درجة الإشباع.
- ✓ التكامل: كل نسق يجب أن يحافظ على الالتئام والإنسجام بين مكوناته و وضع طرق لداء الانحراف والتعامل معه، أي لابدّ له من المحافظة على وحدته وتماسكه.
- ✓ المحافظة على النمط: يجب على كل نسق أن يحافظ بقدر الإمكان على حالة التوازن فيه".

وخلاصة القول أنّ: النسق الثقافي لابد أن يكون متكاملًا، كما يجب تكيفه مع البيئة الاجتماعية والثقافية، كما أنّه يظهر في جملة من السلوكيات والأفعال الإنسانية.

¹ أحمد يوسف عبد الفتاح، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة منشورات الاختلاف، ص147.

الفصل الثاني:

الأنساق الثقافية

في رواية ليّك حجّ الفقراء

تمهيد:

إنّ الرواية باعتبارها فنا أدبيا تتشكل من مجموعة من التقنيات والأدوات الفنية والجمالية والتي تساهم في إثراء التعبير الإنساني من حيث الأفكار والمشاعر وتجارب الواقع والذات، فالرواية صارت (ديوان العرب) في العصر الحديث، تسعى نحو الارتباط القوي بالواقع المعاصر، ومحاولة تصوير أدق تفاصيله، فهي تقدّم موضوعاتها بجرأة وصراحة، وتصور قضاياها مختلطة بطين الأرض، ومخضبة بقضايا الواقع. فالبنى السردية تمتلك قدرات فنية هائلة لطرح أزمت الواقع، وإشكاليات الفكر، وصراع الأيديولوجيات، والحوار مع الأنا والآخر.

ولم تكن الجزائر بمنأى عن هذه اللون الأدبي رغم ظروفها الاستثنائية فبدايات الأدب الجزائري عمومًا والمكتوب باللغة الفرنسية خصوصًا قد تولّد بعد تراكم كبير للأوضاع الاجتماعية والسياسية الصعبة التي عاشها الشعب الجزائري أثناء الاحتلال. ففي عام 1930 كان الاستعمار الفرنسي يحتفل بمرور قرن على احتلاله الجزائر، وواقع الأمر أنه كان يظن بأنه قد قضى نهائيا على الشخصية الجزائرية وأنّ احتفاله إنما هو احتفال بفرنسة الجزائر وإدماجها تماما.

ولكن الطبقة السياسية آنذاك قد نضجت، وصاحب هذا النضوج وعي كبير بالوضع الحقيقي للإنسان الجزائري، وفهم دقيق لنوايا الاستعمار الغاشمة، ممّا مهدّ لظهور البواكير الإبداعية الأولى في الشعر والقصة.

فالروائي العربي قد أصبح (المؤرخ الحقيقي) لكثير من أحداث الأمة وقضاياها، من خلال شخصيات مأزومة فكريا، ومهمشة اجتماعيا، ومغتربة إنسانيا، هذه الشخصيات أصبحت تشغل مكانة رفيعة في شرفات فنون القص.

وما نسعى إليه في دراستنا هذه هو أنّ المفكر الجزائري مالك بن نبي، الذي ارتبط اسمه محليًا وعالميًا بالفكر السياسي والفلسفي وصاحب أطروحة قابلية الاستعمار ومشكلات الحضارة، قد كانت له ميول سرديّة وموهبة تخييلية عجز الرجل عن قمعها أمام نزعتة الفكرية وأولويات ممارسة الكتابة.

فالنّص الروائي يشكل نسقاً عاماً يتضمن في بنيته الداخلية الأنساق الاجتماعية والسياسية و الدينية... لذا سنسعى لتقصي هذه الأنساق المضمرّة والمتخفية داخله باعتبارها الموجه لشخصيات الرواية والمحركة لأحداثها:

1.النسق السياسي:

تصدّرت الرواية الجزائرية مواضيعها الجادة في مجال السياسة، وذلك من خلال الوضع العربي السياسي المتذبذب، والاستعمار الفرنسي وآثاره في البلاد والعباد، لذا فإنّ الرواية الجزائرية من خلال ديناميكية تسلسل أحداثها جعلت من السياسة عنصراً فاعلاً، مهما تنوعت مواضيعها، وتعددت أبعادها الاجتماعية والواقعية، "فالرواية تعبر عن الأطروحة السياسية إمّا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وتستند الرواية أيضاً إلى بلاغة الإقناع والدعابة والتحريض والالتزام وتبليغ الأطروحة المقصودة بشتى الوسائل، لأن الغاية تبررها وتعضدها".¹

فمفهوم النسق السياسي يشير إلى مجموعة التفاعلات السائدة في أية وحدة سياسية، مع إبراز و تأكيد العلاقات المتبادلة بين أطرافها. والنسق السياسي كما يعرفه "دافيد

¹ جميل حمداوي، الرواية السياسية والتخييل السياسي، ديوان العرب (منبر حر للثقافة والفكر العربي) ضمن الرابط

الالكتروني: 08-5-2021/15:00، <http://diwanalarab.com>

رستون"هو: "مجموعة التفاعلات التي من خلالها تتوزع السلطة وتتخذ القرارات الأساسية في أي مجتمع من المجتمعات."¹

وقد شكل النسق السياسي في رواية لبيك حج الفقراء وترا حساساً لا يظهر للعيان، إلاّ إذا تمعنّا المعاني: فتارة تكون للسياسة علاقة بالظروف الداخلية، وتارة أخرى تكون لها علاقة بالوطن و علاقاته الخارجية، وسنحاول تتبع هذه المواضيع بالبحث والدراسة فيما يلي:

1.1- هوية الوطن:

تدور أحداث الرواية في مدينة عنابة "بونة إبان الحقبة الاستعمارية" ² وتضع القارئ آنذاك وحتى اليوم في الأجواء التي كان يعيشها الإنسان الجزائري البسيط في كل مدينة جزائرية كعنابة، والتي تزينت بالورود الربيعية مستقبلةً الحجاج و ذلك في قول الروائي:

" في هذا العام وافق موسم الحج شهر أبريل، شهر البساتين المزهرة و النسيم العليل الذي ينثر على الأرض نوريات الورود وزهور شجر البرتقال، فيغمر السهل العنابي بعبقات بلسمية."³

ولقد تمكن الفرد العنابي من المحافظة على هويته الجزائرية الإسلامية ولو بشيء قليل يتمثل في كبار السن وتشبثهم بالقيم والروح الوطنية " أما عمي محمد فهو ذلك الشيخ التقى الطاهر الأصيل ذو اللحية البيضاء، الذي يحمل السبحة دائماً"⁴، فالعم محمد رمز يمثل الأصالة المتجذرة الضاربة في عمق الأمة ، أما إبراهيم"الفحام" فحاله كحال أغلب الشباب الذين انساقوا وراء المدنية الأوروبية، فهو يمثل مع انحرافه عن الطريق السليم،

¹ طه الوادي، الرواية السياسية، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص35.

² مالك بن نبي، لبيك حج الفقراء، تر:زيدان خوليف، دار الفكر، دمشق، ط1، 2009م، ص17.

³ الرواية، ص28.

⁴ ينظر: الرواية، ص33.

الجيل الذي احتك وعاش المجتمع الأوربي وتورط بمعطيات ثقافتهم وأساليبها، والتي تركته في حيرة من أمره، فما تعلمه صغيرا في كنف عائلته وغاص في أعماقه من قيم إسلامية يتتافى مع ظاهره. و"هاهو العم محمد يقطع صلاته في جوف الليل ليفتح باب (المنزل الجماعي) أمام إبراهيم السكير الذي أزعج الشيخ والجيران بصراخه..."¹ فعندما عاد إبراهيم تلك الليلة إلى بيته ثملا لا يقوى على الحراك، فتح له عمي محمد باب منزله الذي ما هو إلا دكان يبيع فيه الفحم " كانت تتدلى خيوط العنكبوت من خشب السقف الذي لا يمكن التعرف من خلاله على طبقة كلس الجير الممسوحة لكثرة تراكم غبار الفحم الذي صبغ المكان هناك من الداخل، وفي ركن منه توجد كومة فحم بجانبها أكياس مملوءة لم تفتح بعد، أما الغريال وميزان الفحم فقد أكملتا تأثيث هذا الجانب من المحل، وفي الجانب الآخر وضع صندوق فوقه الشمعة التي لا تكاد تضيء سريرا حقيرا وهو المتاع الشخصي الوحيد في هذا المتجر والذي يمثل حجرة نومه فقط، وكان إبراهيم وهو واقف وسط الغرفة بقميصه المدبوغ مع يديه بغبار الفحم؛ يجسد الروح السوداء لهذا المكان المعتم".²

بهذا الأسلوب الدقيق يصف لنا مالك بن نبي بيت السكير إبراهيم، إنه باختصار شديد، حال ووضع الجزائر الأسود القاتم.

ويروي لنا مالك بن نبي ببراعة ذلك التناقض الصارخ الذي يعيشه إبراهيم وانتقاله بين الثقافة الإسلامية والأوروبية، وكيف أن إبراهيم غلب عليه الإحساس بأنه ينتمي إلى المجتمع الأوروبي، وهي إشارة واضحة لفكرة القابلية للاستعمار التي اشتهرت بها فلسفة بن نبي. "فقد كان لدى إبراهيم هذا الإحساس بالخزي الذي ينزل بهذه الشريحة من الناس

¹ ينظر: الرواية، ص32.

² الرواية، ص34-35.

الذين طبعتهم الحياة التي أخذت منعطفاً عصبياً والذين هم متشردون دون مأوى ولا عائلة على هامش مجتمعين: مجتمع مسلم وآخر أوروبي.

كان لديه إحساس بأنه ينتمي إلى الشريحة الثانية هذه.¹

إنه الفراغ والفجوة التي يعانيها كل امرئ ابتعد وتغرب عن عقيدته ومقوماته الأخلاقية. لكنه استدرك الأمر، وأدى إبراهيم فريضة الحج.

ولقد تمكن الفرد العنابي (الجزائري) من التمسك بهويته من عادات وتقاليد ومبادئ سواء من خلال اللباس التقليدي المتمثل في البرنوس والعمامة، أم من خلال الأطباق البسيطة الموضوعة على "الميدة" والحلويات التي تزين البيوت الجزائرية: بقلادة، المقروض و الرفيس فقد: "كانت الميدة، تلك الطاولة ذات الأرجل القصيرة، الخاصة بمسلمي شمال إفريقيا، قد نُصبت و أعدت"² وأما في ما يخص الحلويات فقد كانت "البقلادة خاصة بالعائلات الغنية، والمقروض لقاطن المدينة والفقير، أما الرفيس فالريفي".³ فقد استطاع مالك أن يقدم لنا وصفا للمجتمع الجزائري ببساطته وأصالته وعاداته وتقاليد، ومحافظة على هويته ودينه وتراثه، رغم كل المحاولات الفرنسية لطمس هذه الهوية.

2.1- التمسك بالهوية و قابلية الاستعمار:

لكن ما يبدو غريباً هو أنّ الفكرة الشائعة التي استحوذت على فكر بن نبي وجعلت تعتم على ما بقي من أفكاره هي اهتمامه الشديد بـ«البحث عن أسباب الانحطاط والقابلية للاستعمار»، فكيف يحرص هنا في روايته على الاهتمام والحرص بمسألة الهوية وبالذات ما يمثله الفلكلور الشعبي للمجتمع الجزائري، وكيف يعوّل عليها وهو الذي اعتبرها في

¹ الرواية، ص45.

² الرواية، ص69.

³ الرواية، ص102.

نفس الوقت كما نعرفه وفي كثير من الأحيان من أسباب الانحطاط، وكانت أكثر ما وصف بها إنسان مابعد الموحدين، الذي ينبع جزء منه أي الانحطاط من تبعات تلك الهوية التي يمثلها هذا الفلكلور، متمثلاً في ذلك التراث الوثني الذي قد تبقى في أعماق الضمير الشعبي، الذي شكّله القرون المليئة بخرافات الدّراويش.¹

ربما سيكون أكثر ما يساعدنا على إزالة هذا اللبس هو الإمساك بالخيط الماورائية للرواية مع محاولة الربط بين القضيتين (التمسك بالهوية من جهة و القابلية للاستعمار وأسباب الانحطاط من جهة أخرى) من خلالها على ضوء مشروعه.

لذلك فإننا ومن خلال الرواية سنجد أنّ بن نبي لم يصب اهتمامه بالهوية، بقدر بحثه واهتمامه أكثر في أسباب الانحطاط، إذ فيها تطرّق بحسّه السليم وبفكره القويم إلى القيم والتراث وفاعليتها في تنشيط المجتمعات كالمجتمع الجزائري وبيّن كيف يمكن لنا من خلال ذلك العالم الثقافي وقيمه أن نصل إلى استعادة المجد القديم الذي افتقدناه، لكن دون أن يغفل عن الإشارة إلى بعض الرواسب الثقافية في فلكلوره المتجذرة في تراثه الشعبي، التي اعتبرها من أسباب انحطاطه ومن مسببات قابليته للاستعمار من ذلك مثلاً انتقاده للزّردات الصّوفية التي كانت تخرّ العقل الجزائري وتربطه بالأوثان: «حيث كان الوثن يسيطر في ظل الزّوايا حيث أرواحنا المتسكّعة تذهب لالتماس البركات واقتناء معجزات الحجاب، وفي كل مرة تخنّفي فيها الفكرة يهيمن الوثن من جديد»²، ومن هذه الأوثان التي اتفق وأن بدت في روايته لجوء زهرة زوج إبراهيم إلى (القزّانات) يقول بن نبي في هذا المقطع عن زهرة "كانت هادئة لأنّ قزّانة أي قارئة حظ أنبأتها في الصباح أن

¹ عائشة نجار، باكورة أعمال مالك بن نبي وزاد مساره الفكري، ضمن الموقع الإلكتروني: 5-5-2021/14:15

<http://insanjadid.com/ar/archives/1159>

² مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، تر: بسام بركة، أحمد شعبو، ط2، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2002م، ص97.

معجزة ستقع في حياتها التي تتألم منها كثيراً... كان هذا شغلها الشاغل فكم من مرة كانت تنتقل إلى القبة لكي تشعل شمعة هناك على أمل أن ينتهي سبب معاناتها.¹ أو في استعمال جارة إبراهيم لـ(البوقالة) التي تنتظر منها فأل خير يحمل لها خبراً جديداً...أو طريقة توزيع الحبيج على ظهر السفينة إلى مجموعات حسب انتماءاتهم الطرقية (الطريقة التيجانية والطريقة القادرية والأحباب والإخوان).²

لقد كان النسق السياسي في الرواية يمثل رابطاً وثيقاً بين كل الأنساق الأخرى، فالوطن في المتن يمثل ارتباط الشخصيات بالهوية، وذلك بالتشبه بالعادات والتقاليد، وبطريقة التفكير. والوطن كيفما كان فهو أعلى ما يملك البشر، من خلال تلاحم أفرادهم والانتماء للأرض.

2. النسق الاجتماعي:

إنّ الإنسان اجتماعي تفاعلي مع وسطه، لا يمكنه أن يعيش بمعزل عن الآخرين، يتفاعل ويتواصل مع الآخرين في حياته اليومية مكوناً مجتمعاً، و لكل مجتمع نسق اجتماعي عام تتدرج ضمنه كافة أوجه السلوك الإنساني، ويتضمن مجموعة من النظم الاجتماعية ذات قواعد سلوكية مستقرة تحكم الأنشطة الإنسانية، وهذه الأنشطة المشتركة بين الكيانات الاجتماعية هي سمات في غاية الأهمية، ذلك أنّ كل نسق اجتماعي يخلق لنفسه حدود تجعله متميزاً عن الأنساق الأخرى، كما يخلق داخله حالة من التوازن بين الأنشطة التي تمارس داخله، بحيث يظل قادراً على العمل وعلى أداء وظائفه. فالتكامل سمة في النسق الاجتماعي، ويرتبط بفكرة التكامل ثلاث خصائص تتمثل في:

¹ الرواية، ص47.

² الرواية، ص82.

- أن الحياة في نسق اجتماعي سيء التكامل أصعب من الحياة في نسق اجتماعي جيد التكامل.¹

- أن النسق الاجتماعي ذي المستوى المرتفع من التكامل أقدر على مقاومة التحدي الخارجي من النسق السيئ التكامل.

- أن التحديث والتقدم الصناعي يؤدي عادة إلى تقليل درجة التكامل الاجتماعي.²

فالمجتمع باعتباره نسقا اجتماعياً مركب من عدد من العناصر أو المكونات التي ترتبط ببعضها البعض، وهو بالتالي يتكون من أنساق فرعية، ومجموعة من النظم الاجتماعية وقد تضمنت رواية "لبيك حج الفقراء" مختلف التحولات الاجتماعية متمثلة في أنساق اجتماعية نذكر منها:

1.2- علاقة الأنا والآخر:

إنّ التشاكل الاجتماعي يستوجب حضور الطرف والطرف الآخر إما في حالة توافق أو في حالة صراع، فهو يمثل علاقة الأنا بالآخر؛ فالأنا " تعرف في علم الاجتماع بأنها فرد واع لهويته المستمرة ولارتباطه بالمحيط "³ ورواية لبيك حج الفقراء من الروايات التأصيلية التي تعاملت مع المجتمع من منظور الاحترام وليس من منظور النقد والاحتقار، فقد صورت لنا تلك البساطة والرفق في التعامل بين أفراد المجتمع، وتطرقت لمسألة في غاية الأهمية وهي مسألة الانتماء للمجتمع، فالفرد الذي يخالف قيم المجتمع هو فرد منبوذ وغير مرحب به من قبل الشعب، ولكنه سرعان ما يعود للاندماج ويُلَاقى بالترحيب والسرور إذا عاد للالتزام بهذه القيم واحترامها.

¹ محمد الجوهري، مدخل إلى علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة القاهرة، (د، ط)، 2007م، ص28-29.

² المرجع نفسه، ص30-31.

³ ميخائيل إبراهيم سعد، شخصيتي كيف أعرفها، دار الآفاق الجديدة، لبنان، ط3، 1987م، ص70.

تتناول الرواية مختلف شرائح المجتمع بمختلف مستوياتهم وخلفياتهم وجنسياتهم وتوثق أسلوب حياتهم في حقبة من الحقب وتصور الوشائج بين كل هذه الفئات، لتُبرز قصة أغلى رحلة في قلوب المسلمين وهي رحلة الحج في ذلك الزمان.

فالعلاقة بين الأنا والآخر تتسع لتشمل مختلف الأفراد على اختلاف شخصياتهم، تجاربهم، دياناتهم وعرقهم في رقعة جغرافية موحدة.

ويمكن إدراج وتنظيم العلاقات الاجتماعية بين شخصيات الرواية في العناصر الآتية:

1.1.2- علاقة إبراهيم بالجزائريين:

كان إبراهيم على علاقة سيئة مع جيرانه وكذا زوجته فتصرفاته وملازمته لشرب الخمر و ما يتبعها من ضجيج وصراخ كلها صفات أوجبت ابتعاد الناس عنه، يصف مالك بن نبي حالته هذه قائلاً: " كان طيشه قد بدأ في دكانه الصغير حيث يتناول عشاءه رفقة جماعة من المخمورين... كان إبراهيم قد خرج ثملاً، عندما غادر المتجر كي يواصل شرابه في أماكن أخرى.¹ " هذه العجرفة التي يشترك فيها كل الذين يتعاطون الخمر، ألهمته فرحة مفاجئة، فأنشد يغني ...لقد أزعج صوته الهدوء الذي كان يسود الشارع "². فهذه كانت حالة إبراهيم في أغلب الليالي المقمرة الهادئة بعنابة، ما أدى بجيرانه إلى رفض إقامته معهم، يشير مالك بن نبي إلى ذلك: " لكنه طردَ منه لأنه لم يعد مرغوباً فيه بسبب سلوكه."³ غير أن كل هذا لم يمنع هؤلاء الجيران من الإحتفاء بإبراهيم بعدما سمعوا بحسم أمره اتجاه الخمر ونيته في التوبة، وقد رسمت استضافة العم محمد على مُحياً إبراهيم ملامح التقدير، فيقول وهو متأثر بذلك: " لقد قبلوني في المنزل، ودعاني

¹ الرواية، ص37.

² الرواية، ص32.

³ الرواية، ص46.

الشرفاء إلى مائدتهم".¹ فالعم محمد وزوجته وجيران إبراهيم جميعا يمثلون حب المجتمع الجزائري للفرد المحترم، الذي يعيش محافظا على أخلاقه ودينه، وهو ما يلاحظ من تعاملهم مع إبراهيم أثناء عردياته، ونقارن تلك الأيام بيوم واحد فقط حين تاب وأحب الذهاب إلى الحج كيف تعاملوا معه باهتمام وحب كبيرين.

فإبراهيم بطل القصة الذي قرر الاستجابة لنداء الفطرة والدين ونداء المجتمع وعاداته وتقاليد.. نداء الذكريات العائلية التي حفرت في نفسه قيم دينه وأمته ومجتمعه.. كان يمثل تلك العودة إلى الروحانية والنقاء بعد ابتعاده عن تلك القيم، وغوصه في قذارة الخمر والمادية.

2.1.2 - علاقة إبراهيم بالطفل هادي:

نشأت علاقة أسرية وطيدة بين هادي وبين إبراهيم الذي قبله كولد له، فالاثنتان مرّا بحياة قاسية، جمعتهما شغفهما وإرادتهما في تغيير حياتهما وواقعتهما الأليم.

فهادي الذي سكن وارتاح للحجيج بدأ يحكي كيف أن "والديه أحضراه معهما من دوار داخلي إلى بونة هربًا من المجاعة، كان هادي يحتفظ بذكريات غير واضحة عن خيمة بالية كانت ملجأ لهم... كان والده يذهب كل صباح إلى المدينة أو إلى مزارع الكروم المجاورة للعمل... أمّا والدته فقد كانت معه ترعاه وتحرس الثلاث أو الأربع دجاجات اللاتي كان بيضهن يدرّ عليهم بعضا من المال لشراء الملابس الفقيرة. لكن أمي ماتت وباع أبي الدجاجات لأن بيضها كان يسرق من الزريبة التي ذهبنا لنقيم فيها لنكون داخل

¹ الرواية، ص 66.

المدينة ¹ ليلحق بعد مدة قصيرة أباه بأمه، أمّا الطفل هادي فقد كان " شعره أشعث، ورجلاه حافيتين، يرتدي سروالا كثرت ثقوبه كغالبية أطفال بونه ²."

فهو يمثل ذلك الفقر المدقع الذي تعرفه الأسرة الجزائرية حيث تُرغم العائلات على دفع الأطفال إلى العمل القهري خاصة في (الحماله) في الأسواق والموانئ، أو (مسح الأحذية) في الأماكن العمومية، وترك مقاعد الدراسة.

غير أنه ومن رؤية أخرى للمشهد كان للنشئ المتمثل في شخصيّة (هادي) ضوءاً خاصاً اهتمّ بن نبي بإلقائه على شريحة من المجتمع ما فتى ينادي بأن تكون بمثابة رأس الحربة في كل عمل نهضويّ. فيخلص إلى نسق خفي يتمثل في أنّ الجيل الناشئ هو سبب النهضة ودحض الاستعمار.

فيصوّر لنا تلك الإرادة التي دفعت هادي لينقل نفسه من ولد طائش - يراهن أصحابه المشردين أمثاله على أنّ الفقراء بإمكانهم أداء شعييرة الحج-³ إلى فتى يملك كامل الاستعداد ليصبح حاملاً لمشعل الحضارة، وهو ما استطاعت أن تترجمه تلك التّهيئة التي أطلقها (هادي) متأسفاً على انقضاء أول صلاة له كان يريدّها أن تدوم إلى الأبد، كما في انتظاره للحلول وقتها كالتلميذ الذي ينتظر موعد الاستراحة بفارغ الصبر.

هذا هو الطفل الذي يحمل معه أمل العودة إلى أرض الوطن ويواصل رغبة التغيير نحو الأفضل، لقد طهر نفسه ويده من مسح الأحذية، وطهر قلبه من أدران الثقافة الأوروبية، وتّشبع بثقافة الأسرة مع إبراهيم، إنه الأمل بغد مشرق.

¹ الرواية، ص 127-128.

² الرواية، ص 76.

³ ينظر: الرواية، ص 130.

فنموذجي هادي و إبراهيم؛ يبيّنان وبعمق كيف أن رجل الفطرة عندما يتحرّك ويأخذ طريقه، لكي يصبح رجل حضارة، فإنه لا زاد له كما بيّنه تفصيلا مالك في «شروط الحضارة» سوى التراب، والوقت، وإرادته لتلك الحركة.¹

3.1.2- علاقة إبراهيم بالفرنسيين (المسيحيين):

كان لإبراهيم علاقات عارضة مع بعض الفرنسيين فقد إحتك بهم في الباخرة إبّان رحلته للحج، وضمن هذه الشبّكة الاجتماعية لم يفوّت بن نبي فرصة تصوير مشهد يلتقنا فيه إلى «عقيدة الآخر»²، فالحوار الديني الذي دار بين إبراهيم بثقافته الضئيلة عن الإسلام وتعاليمه، مع البحّار الفرنسي -الذي تطفل على الحجاج، بفضول دفعه ليعرف شعورهم ويسأل عن بعض ما حرم الإسلام كشرب الخمر ولحم الخنزير - غير أنه تكفّل بإنقاذ مساره أحد المثقّفين الجزائريين بعد أن فقد إبراهيم القدرة على ذلك، وكأنّه يريد أن يعبر عن غيرته في الدّفاع عن دينه ولو بأجوبة عفوية. فعكس هذا المشهد كما يرى فيه مترجم الرواية (زيدان خوليف) ذلك الجوّ الودّي المتفاهم بين المسلم ومخالفه في عقيدته، على اختلاف المبادئ ووجهات النّظر.³

لكنّا نجده كذلك يعكس من جهة أخرى أهمّ ما شغل ذهن مالك آنذاك، وهو مشهد شباب الإسلام الذين استهوتهم المناقشة الخطيرة بين الدّين والعلم، الذي كان زُبدة ما اهتمّ به في كتابه «الظاهرة القرآنية»، فاستخلص فيه من هذه النقاشات نتائج وثيقة أراد تبليغها للضّمائر الأخرى.⁴

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1986م، ص60.

² زيدان خوليف، "عقيدة الآخر عند مالك بن نبي"، مجلة Maghreb Review، العدد 1-4، 2004م.

³ ينظر: الرواية، ص20.

⁴ مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط4، 2000م، ص52-

كما كان ممّا يهدف له بن نبي من خلال هذا العمل، تعريف القارئ الأجنبي بشعيرة الحج وفضلها في المجتمع المسلم وهو ما أبداه في روايته من فضول البحّارة الفرنسي وتطفّله عليهم بغية اكتشاف الشعور الذي يستقبلون به أداء شعيرة الحج¹، وهو الأمر نفسه الذي خالَج مالك بن نبي حين أحسّ واستشعر ضرورته لمّا وجد زوجته الفرنسية تنتظره بفارغ الصبر وهو عائد من تبسة ليقصّ عليها قصص حَجّة أمّه.²

4.1.2- علاقة إبراهيم بالحجيج من مختلف الأمصار:

وهناك على سطح الباخرة كان اللقاء بين الحاج إبراهيم والعديد من الشخصيات من عدّة دول حيث شعر أنه امتزج مع مجتمع جديد نقي يرغب في التطهير، وتتسارع الأحداث في الباخرة، وتلتقي الأفكار وتتلاقح الثقافات بين الحجيج فمن الأبعاد الاجتماعية للرواية، والتي قد نلمسها في «شبكة العلاقات الاجتماعية» التي تعرّف عليها إبراهيم في المركب، نجد فيها مختلف شرائح المجتمع بمختلف مستوياتهم وخلفياتهم وجنسياتهم، وتوثق أسلوب حياتهم في حقبة من الحقب، بالرغم من أنّ الرواية جزائرية في أغلب أحداثها، هذه الشبكة التي اهتم الكاتب بإتقان وحرص على إبرازها وإظهار مدى التعايش الذي كانت عليه، في مشاهد تصوّر لنا مدى صفاوة ونقاء شبكة العلاقات الإنسانية في عفويتها وبساطتها، ولتمخر بهم الباخرة عباب الأمل والرجاء في تلبية النداء، أو لتعود بهم إلى وطنهم في فرح الغفران³

كما أراد أن يبيد لنا من خلال ما كان يقصّه علينا في شهادته، تلك الروح الجزائرية التي لم تختف من كتاباته فهي دائما حاضرة وإن كان يكتب للعالم الإسلامي ككل.

¹ ينظر: الرواية، ص 103-107.

² مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن "الطالب"، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط2، 1993م، ص 297.

³ الرواية، ص 13-14.

2.2- نسق المرأة:

كرّم الإسلام المرأة ورفع شأنها وبيّن حقوقها وواجباتها فهي الأم والزوجة والأخت والبنّت، وهي شريكة الرجل في الحياة وجزء من كيانه، ومع محاباها به المولى من تكريم وما تُقدّمه من تضحيات وإنجازات إلا أنّ الكثير من الشعوب ماتزال تنتظر لها بدويّة واحتقار، "وقد لاتكون الثقافة العربية بدعاً بين الثقافات في نقاط الاختلال التي يحتويها متنها، ولعلّ قضية المرأة من القضايا الشائكة التي تتخلل الثقافة العربية، فتقافتنا العربية ثقافة ذكورية...تصبح فيها الأنوثة مجردة من كل امتياز، وأداة للمتعة وزينة يتزين بها الرجل".¹ وقد حدّدت الثقافة العربية سمات للأنوثة ومظاهرها ليس من بينها (العقل واللسان) فهما من حصة الرجل، وللمرأة الصمت والاستماع ولهذا جعلت ثقافتنا المرأة كائنا اصطناعيا وليس طبيعياً.

نجد في الرواية تجسيدا لبعض الشخصيات المغلوبة على أمرها، فلم ينسَ مالك أن يشير إلى وضع المرأة الجزائرية، فزهرة زوجة إبراهيم هي مثال الزوجة الجزائرية والمسلمة عموماً، تلك المطيعة لزوجها والمحبة له ، الوفية حتى لو كان سكيراً كحال إبراهيم، إلا أنها تريد له الصلاح والخير دائماً، فهي مثال للمرأة التي تعاني جرّاء أفعال زوجها الشنيعة، كما ننتهي هنا إلى ظاهرة ثقافية نسقية تجعل من المرأة الصالحة هي من تقبل بالذلّ والمهانة وتصبر رغم تجبر زوجها ، وأيضاً نجدُ هنا ظاهرة خفية تُبعد المرأة عن العقل والعلم.

ف(زهرة) زوجة (إبراهيم) وعلى ما عانتها من ويلات وعريدات إبراهيم الليلية وسلوكه غير السوي الذي كان يعذبها خاصة بعد انتقال والديه إلى الرفيق الأعلى، إلا أنّها ظلّت

¹ سمير الخليل، فضاءات النقد الثقافي من النص إلى الخطاب، ص31.

تَكُنْ له كل الاحترام، وتتمنى له الخير والهداية¹، وفاءا لوالديه اللذين أوصياها بابنهما وهما على فراش الموت، إلا أن تماديه في سلوكه بصورة مستمرة، جعلها تحسم أمرها معه، وتتركه للعم محمد ليتولى الاهتمام به.

فمالك بن نبي يرفع ذلك الذل عن زهرة فقد أنهت هذه المهزلة واتخذت لنفسها عملاً فهي: "تشتغل بجد وتكسب قوتها بشرف خياطة للعائلات البرجوازية، ومن حبها لوالديه احتفظت بـ"مسبحة" أم إبراهيم وأرسلتها له:"حافظت زهرة عليها بحرص وعندما علمت برحيلك هذا الصباح، أصرت على أن ترسلها إليك لأنها أيقنت أنك جدير بأن تحتفظ بها الآن"² هكذا أخبرت زوجة العم محمد إبراهيم عن ما قامت به زهرة.

فالمسبحة تمثل بالنسبة لها الرصيد الثقافي المتوارث عبر الأجيال، ما جعلها تحتفظ بها وترسلها لإبراهيم عندما قرّر الحجّ، لتعيد إليه ذلك المخيال المتوارث كلما استشعر بحبّاتها بين يديه.

لقد شعر إبراهيم أنّه تخلص من الماضي وعندما استرجعه في لحظة تدبر، تأمل براءة وجه زوجته التي طلبت الطلاق جرّاء انحرافه وهو يختلط "مع وجه أمه المشرق والممتلئ بالرضا، ذاب الوجهان وشكّلا رمزا واحداً لطريق مضيء فتح أمامه فجأة، فأحسّ بأنه قد نفذ بجلده من إمبراطورية الظلام"³. وهل الاستعمار غير الضيّم و الظلام ؟

¹ الرواية، ص 19.

² الرواية، ص 70.

³ الرواية، ص 71.

3. النّسق الدّيني:

يُعتبر الدّين من أهم مقومات المجتمع، والمنظّم لحياة الإنسان، ويعتبره مالك بن نبي أساس قيام الحضارة، فالدين يعدّ نظام موحد من المعتقدات والطقوس المرتبطة بأشياء مقدسة، وهذه المعتقدات والممارسات تجمع المؤمنين بها في دائرة أخلاقيّة واحدة.

وقد تضمنت رواية لبّيك حج الفقراء على عدّة أنساق دينية، فالرواية ركزت وأعطت أهمية كبيرة للدين وأثره في النهوض بالإنسان وانتشاله من ظلام الاستعمار وبرائن الآفات التي جاءت بها الثقافة الدخيلة:

كان للحلم الذي رآه إبراهيم سبباً قوياً في انطلاقه نحو تغيير وتجديد حياته إضافة إلى حالته المتردية التي كان يعيشها، وقد إشمأز منها وضاق صدره من هذا الوضع فقد كان: "يرتدي مئزراً طويلاً يصل إلى الكعب ومنتعلاً حذاء قماشياً ويضع فوق رأسه شاشية متأكلة وعليها دسم القرف". حيث "أحس إبراهيم بخجل مضاعف من فردتي حذائه: حذاؤه الذي لم يكن يلبس مثله سوى (أولاد الحرام) مثلما يُطلق على السفلة في الجزائر، لا ينتعله إلاّ قطاع الطرق وأشخاص في منتهى النذالة لكي يُفاجئوا غيرهم دون إصدار صوت أو للفرار بسرعة".¹

لكن إبراهيم الفحام والسّكير يتغير بين عشية وضحاها إثر (حلم) رآه، حيث رأى نفسه يطوف بالكعبة، ما أحدث في نفسه دهشة وسخرية، "كان يمتزج في فكره منظر حذائه ودكانه مع الإحساس المتناقض الذي أيقظته في نفسه كلمة (بوقرة)-صاحب قارورة النبيذ- وكلمة (الحاج)، ترك هذا الحلم إبراهيم في حيرة من أمره،"² كان يريد أن يجد تفسيراً لهذا الحلم فلا يوجد مسلم لا يؤمن بتأويل عملي لرؤاه إنّ الإلهام موجود عند

¹ الرواية، ص 43-44.

² الرواية، ص 44.

الصوفية ... فالمسلم، إذا ما احتاج أن يتبين أمرًا ما، استخار فيه الله ليلهمه عن طريق رؤيا في الحلم. لقد كان إبراهيم على سوء تعرجات حياته، يحافظ على الروح الصوفية التي ورثها عن السُّلالة الصَّالحة لأُسلافه.¹

استمع إبراهيم لصوت مؤذن الفجر الذي اخترق السكون الذي يُلَفّ المدينة :

"الله أكبر الله أكبر"

هذا الصوت الذي يشدو كل صباح على امتداد آفاق الإسلام كأنه لم يسمعه منذ أمد بعيد، سمعه كمن أيقظه بعد نوم عميق لينادي به إلى الصلاة. كان يحس وكأنَّ الأذان قد أيقظه من سُبات دام لسنوات طوال .² فانتعل حذاءه ثم اتجه بعفوية نحو الشمال باتجاه "المسجد الذي لاحت له منارته السامقة في السماء"³ بوصفه علامة بارزة تشير إلى هوية المجتمع المسلم، ويتجاوز المسجد دوره الثقافي من تعليم وقراءة للقرآن الكريم وسماع الخطب⁴ إلى رمز يأخذ دلالة للأمن والراحة النفسية وملأذاً لكل من أنهكته الحياة ومبعثاً لطمأنينة الشخصية الروائية البطلة المتمثلة في "إبراهيم" والذي مدَّ يديه في ساحة المسجد متضرعاً باكياً لله " يا رب اشفني من شروري فأنا مريض، اهديني سواء سبيلك فإني ضال".⁵ قرّر في الصباح أن يغتسل ويلتحق بسرعة بالباخرة المتوجهة إلى (جدة) على الساعة العاشرة صباحاً. وبعد غُسله غمره إحساس بأنّه تخلص من ضيق كان يعيش في

¹ الرواية، ص39.

² الرواية، ص51.

³ الرواية، ص53.

⁴ حمد البليهد، جماليات المكان في الرواية السعودية، دار الكفاح للنشر والتوزيع، (د.ط)، (د.ت)،

1428هـ/2013م.

⁵ الرواية، ص54.

داخله... و فهم أنه كان يلعب " دور شخص بغيض فُرض عليه في مسرحية كوميدية بذيئة"¹. هكذا فهم ابن نبي الاستعمار، إنّه مخرج لمسرحية كوميدية بذيئة؟

أمّا "المسبحة" التي أُعطيَتْ له فقد أعادت إلى إبراهيم نداء الذكريات العائلية التي حفرت في نفسه قيم دينه وأمته ومجتمعه. وليحقق إبراهيم حلمه في تغيير نفسه وتطهيرها، حيث يقرر الاستقرار بالمدينة المنورة ومنها يرسل إبراهيم إلى زوجته فاطمة رسالة عن طريق العم محمد قال فيها " أحس وكأني إنسان جديد وأرى من حولي عالما جديدا أريد العيش فيه إن شاء الله.² ثم قال " لقد تركت الفحم ثم الخمر في بونه "³، وطلب من زوجته اللّحاق به ليعبر لها عن حبه العميق.

و"أدى إبراهيم فريضة الحج، وهو ما يدلّ أنّه مهما حاد المؤمن عن سواء السبيل فإنّ إخلاصه لابدّ أن يعيده إلى الهداية و إن طال زيغُه".⁴

كما أشار عمر مسقاوي في مقارباته موضحاً تأثير كلمة «لبّيك» في روح المسلم: «حين تتقدّم الرّوح على مرامي النفس تكتسب الأمّة حصانة تراثها في حالة ركوده، وتصبح المصطلحات المغموسة بزيت الإيمان تضيء في ظلمة الضبابيّة واليأس، كما في نور التّجدد و الحياة، إذ الكلمات هي التي تستدعي روحها كتلك الرّوح التي أنجبت إبراهيم والمجتمع الفطري... حين نادى المنادي من وراء الغيب: «لبّيك اللهم لبّيك» فإنهمر دمع الحنين في الفقراء في مصطلح الحجّ»⁵

¹ الرواية، ص56.

² الرواية، ص55.

³ الرواية، ص56.

⁴ الرواية، ص18.

⁵ عمر مسقاوي، مقاربات حول فكر مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2008م، ص65.

فالموقف النهائي لهذا البطل كان باستقراره في المدينة المنورة، والذي لم يبدِ استعدادا للعودة إلى أرض الوطن المحتل لتغييره أو التحريض على تغييره، فيخفي دلالات كثيرة منها: موقفه المبدئي في التغيير والرغبة في التخلص من كل مظاهر العبودية والقهر التي تمارسها النفس أو الثقافة أو الاستعمار، وأهم شيء في هذا التغيير هو البحث عن المخرج، والتعبير عن عدم الرضا بالوضع، وقد وجد ابن نبي في العودة إلى الإسلام ومنابعه الصافية، فتحيلنا الرواية إلى أن أساس النهضة والتغيير نحو مستقبل جديد وأفضل إنما تكون بإتباع هذا الدين القيم والعودة إلى الطريق المستقيم وترك أسباب الغواية والآفات الاجتماعية (الخمرة) فهي ضياع للدنيا والدين.

لقد اتخذ إبراهيم قرارا حاسما في تغيير حياته، ليتخلص من العبودية (الفحم)، والثقافة الدخيلة (الخمرة)، ويقرر ركوب التاريخ (البخرة) للعودة إلى الأصول (الحج) والطهارة.¹ وإن كان هذا القرار يبدو للوهلة الأولى هروبا من الواقع، إلا انه يحمل في طياته أيضا قرار التغيير والثورة على النفس والمحيط، ورفض الواقع المرير.

أما ذلك الجزء الآخر من شخصية بن نبي الذي يبدية حينا ويخفيه أحيانا، والذي يتجلى في أحاسيسه ومشاعره الفياضة والمعاني العميقة عمق الفكر الذي يحمله، إذ أنه رجل شعر في حياته وتجربته الخاصة بمعنى الإنسان في صورتيه الخلقية والاجتماعية، إذ مرت هذه المشاعر في أدب بن نبي حين منحها روحه ودمعه في المرحلة الأولى من شهادته، وهو ربما ما يتجلى فيه بوضوح عندما سمع حديث والدته وذكرياتها عن الحج، دون أن تكون له القدرة على حبس دموعه فكان يتظاهر بالعطش ليخرج إلى الشرفة فيطلق العنان للدمع، لتبدو هذه الأحاسيس هي التي قدّمت مادة وموضوع روايته، لتكون عن شعيرة «الحج»، تلك الرحلة الروحية، التي تعبّر عن هيام المسلم بالحرم، التي أرهف

¹ نوار عبيدي، مالك بن نبي رائد الرواية الجزائرية، ضمن الموقع الالكتروني:

<https://binbadis.net/archives/2865/12-5-2021/20:10>.

لها إحساسه وأمّه تحكي له عنها، كما ينقلها لنا في شهادته، واصفا طريقتها في سرد أحداث تجربتها في ممارسة هذه الشعيرة التي هي جزء لا يتجزأ من المخيال الذي أراد تصويره في الرواية، قائلاً: «فقصّت علي قصة حجّها، بكل ما تحتاجه القصة من تنوير في بعض نواحيها، وتظلم في نواحي أخرى، كما تتطلب قصة يلتقي فيها عناصر اللاهوت والناسوت..وما قصة والدتي إلا إحدى القصص التي يتناقلها الحجاج كل سنة يحملونها إلى الآفاق الإسلامية».¹

وهو مانجده في رواية " لبّيك حج الفقراء " الظاهر من عنوانها، يصور لنا مالك بن نبي هذه الرحلة الروحية إلى بلاد الحرمين الشريفين، فهي المقصد الأول لإبراهيم والرحالة الجزائريين وغيرهم من المغاربة، فقد أدرك هؤلاء قُدسية أرض الحجاز، وعلموا خيرات التوجه إليها.

يصف لنا مالك بن نبي على لسان إبراهيم ما عاينه في هذه الرحلة من بلدان وشخصيات فيقول: " إنّ طائفة من التفاصيل المتعرجة تبدأ تسترعي اهتمام الحاج بدءاً من دخوله البحر الأحمر، فتذكره تارة بحدث ديني من الماضي وتارة أخرى منسكاً يجب القيام به.

وهكذا الحال مع أجيال من الحجاج، هكذا كانت تسمي (حفرة فرعون) حيث التاريخ المقدّس يشير إلى معبر موسى في البحر الأحمر، ويقولون إنّ فرعون مازال في هذه الحفرة حبيس الدوامة إلى آخر الدهر. عند هذا المكان، يراقب الحجاج من فوق مركبهم (حفرة فرعون) وبعضهم يدّعي أنّه حقاً رآه.

من هذا المكان، يمكن أيضاً رؤية (جبل الطور) حيث كلمّ الله موسى بالوادي المقدّس حيث رأى رسول بني إسرائيل (القبس).

¹ مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن "الطّالب"، ص 291-293.

بعده يظهر الميناء الحجازي الصغير (رابغ) الذي ينبه الحجاج بأنهم قد دخلوا المنطقة المقدسة، حيث يتزياً بلباس الإحرام. لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ. وانطلاقاً من (رابغ) لا تتقطع هذه التلبية فوق المركب الذي يحمل الحجاج منها إلى جدة".¹

وفيها شاهد من الجنسيات والأشخاص العديد، "لقد وجد إبراهيم أنّ التونسيين أكثر روحانية وبشاشة. كان يفضلهم على أهل المغرب الذين وجدهم منطوين قليلاً ومنزوين... فجأة علا صوت صراخ قريب من العبارة ولاح للحجاج مشهد محزن بطله رجل ورُقباء المدينة الذين كانوا يحاولون بكل طاقتهم الإمساك به وهو يحاول بكل ما أوتي من قوة، إدراك العبارة التي بدأت تسحب. كان الرجل يصرخ ويتخبّط ليتخلّص من قبضة الرقباء عند رؤية العبارة التي سحبت، والمركب الذي بدأ يبتعد عن المرسى. تضاعفت قواه واستطاع أن يتخلص من قبضتهم. كان يشبه الحيوان الضاري في غدوه ورواحه خلف قضبان قفصه علّه يجد مخرجاً. كان يجري خلف المركب، الذي كان يبتعد وهو يحاول أن يمسك بأي شيء عالق بجوانبه ليصعد إلى السطح. وعندما فقد أمل اللحاق بالمركب، فبوجه مأساوي ونظرات حائرة، توجه نحو المركب ماداً يديه كمن خطف منه شيء وهو يصرخ:

أرأيت يا رسول الله، لقد تركت خيمتي وأولادي كي آتي إليك. لقد قطعت 700 كلم مشياً على الأقدام، ولكني لا أستطيع أن أذهب أبعد من هذا يا رسول الله".² فهذه الرحلة الروحية التي تشدّ ألباب الجماهير المسلمة إليها، وتسقي الأرواح العطشى للإيمان، تحمل في طياتها أنساقاً خفية فمالك لا يقصد رحلة الحج بذاتها وإنّما رحلة روحية يسمو بها المرء وتنشع عنه سحب الضلال، يدعو بن نبي من خلالها للعودة إلى تعاليم دين

¹ الرواية، ص 41-42.

² الرواية، ص 88-89.

الإسلام وتطبيق أوامره والابتعاد عن المنهي عنه، رحلة نعود بها إلى القيم والأخلاق الإسلامية، فالنهضة لا تقوم إلا على أساس الرجوع إلى الأصل، أي إلى الدين الصحيح.

فإبراهيم وبتوبته يمثل تلك العودة إلى الروحانية و الصفاء بفعل نداء لبّيك، فمالك بن نبي بهذا الحل " يريد أن يبرهن بأن لاشيء قد ضاع، وبأنّ الشعب يستطيع بلا ريب أن يمسك بزمام أمره، ويستعيد شخصيته عن طريق تجديد تمسكه بعقيدته التي هي ضمان تحرره.¹

إنّ مالك بن نبي لم يكن يبتغي من كتابة روايته هذه أن يبدع رواية أدبية وكفى، بل كان يريد أن يؤكد على أن " في هذا المجتمع قيماً راسخة ليس من السهولة طمسها، وأن هذه القيم هي التي ستحمي حضارتنا من الذوبان والاضمحلال. ففوة الدين.. قوة المركز، تشد دائماً أفراد المجتمع لتعيدهم نحو تلك القيم مهما ابتعدوا عنها، ومهما أثرت فيهم دعوات المادية الفجة".²

4.النسق الفكري:

لاشك أنّ الرواية في العصر الحديث أصبحت مخزناً للأنساق الفكرية، فالروائي يمررها من خلال شخوص الرواية ومواقفها، فكل نص روائي يحمل في طياته أفكارا يحاول تمريرها، وتعدّدها داخل النص يشكل "نسقا".

فالمنهج الذي سلكه بن نبي في الرواية، نجد أنّه يستمد أصوله و جذوره من تأمله الطويل في غريزة التدبّر في فطرة الإنسان، فمن خلال هذا المنهج أمكن لمعاناة بن نبي

¹ أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ب)، 2007م، ص 105 .

² نوار عبيدي، مالك بن نبي رائد الرواية الجزائرية، ضمن الموقع الإلكتروني: 10:20/2021-5-12/

<https://binbadis.net/archives/2865>

أن تستعلن لنا و تقف ماثلة أمامنا عبر روايته، فكان ليبيدي لنا من خلالها آثار فكرة قريباً ما سيعلن عنها في أول كتاب يصدر له في أعقاب هذه الرواية، معتبراً أن الإنسان المسلوب الحضارة، عديم القدرة على الإنجاز الحضاري إلا إذا تغيرَ تغييراً جذرياً نابعاً من إرادته الحرّة¹، ثم يخلص الرجل في تحليله للفكرة الأساس هذه في بناء الحضارة وديمومتها بأن "الفكرة الدينية تشترط سلوك الإنسان حتى تجعله قابلاً لإنجاز رسالة أي حضارة، لكنّها لا تكتفي بالوقوف عند هذا الحدّ، فهي تحلّ لنا مشكلة نفسيّة اجتماعية أخرى، ذات أهميّة أساسيّة تتعلّق باستمرار الحضارة، فالمجتمع لا يمكنه مجابهة(الصّعوبات) التي يواجهها بها التّاريخ كمجتمع، ما لم يكن على بصيرة جليّة من هدف وجوده."²

وهو ربما ما فتح إمكانيّة إشراق عنوان « أثر الفكرة الدينية في تكوين الحضارة» في فصل خاص في كتابه الموسوم بـ«شروط النهضة» في طبعته الثّانية التي جعلها خصيصاً له، إذ نجده يفصل هذا الدور للدين في نشأة الحضارة و ديمومتها معتبراً أنّ دورة الحضارة-أية حضارة-لا تتم إلاّ حينما تدخل التّاريخ فكرة دينيّة معيّنة، وهو لا يقف عند هذا الحد بل نجده يُعمق فكرته، وتحليله أكثر حين يبيدي المغزى الذي يبتغي استهدافه، من خلال الرواية وهو يحرص على تأكيد تأثير الدّين الذي يغيّر النّفس الإنسانيّة، حين يرى كما يقول في الكتاب«أنّ المسألة هنا هي أن توضّح للقارئ كيف يتاح للفكرة الدينيّة أن تبني الإنسان حتى يقوم بدوره في بناء الحضارة»³.

فبن نبي يعالج موضوع الخمرة والابتعاد عن الدّين الذي كان يشكل الهاجس الرئيسي لكتّاب العشرينيات، ولكن من منظور جديد وفي نطاق تصور نظري متكامل لدى المؤلّف

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، ص70-71.

² المرجع نفسه ، ص71.

³ المرجع نفسه ، ص61.

عن "شروط النهضة" الجزائرية التي يرى أنها لا يمكن أن تقوم إلا على أساس الرجوع إلى الأصل، أي إلى الدين الصحيح، وبناء على هذا الأساس يُعطي المؤلف الحل، ولا يترك بطله حائراً مستسلماً، ينتظر مصيره المحتوم في قدريّة وعجز كامل، ويتمثل الحل في توبة البطل، وتكفيره عن ذنوبه، بالذهاب إلى البقاع المقدسة ليؤدي فريضة الحج، ومن هنا جاء عنوان الرواية "لبّيك".¹

يغدو هدف مالك الأخير من خلال لبّيك هو دفع المجتمع الإسلامي إلى مواجهة العصر الجديد وأن يعطي لأصالة أفكاره فعالية تضمن لها النجاح إنه مدعو لأن يستعيد تقاليده العليا و معها حسّ الفعاليّة كما يركز مالك بن نبي هنا في عودة إبراهيم إلى الجادة، على إعطاء قارئه فرصة التأمل في هذه المرحلة من تاريخ المجتمع، حين يولد، أو حين ينهض، وذلك عن طريق تمسكه بالمبادئ التي شيدت البناء الحضاري الإسلامي.²

فقصة "لبّيك" رسمت عمق الروح الجزائرية وشخصيتها المنتمية إلى تراث الثقافة والحضارة الإسلامية المنشدة إلى منازل الوحي، فمكة والكعبة مثلتا في فكر بن نبي أنشودته وروحه والمنطلق في مشروعه والمعاد إليها في بناء جديد لحضارة الإسلام وهي تبعث من جديد.³

خلاصة القول أنّ مفكرنا قد كشف عن مجموعة من الأسس التي ترسّبت في الوعي الجمعي لشخصية المجتمع المسلم، وأكّد أنّ من خلالها يمكننا التمسك بالقيم الحضاريّة

¹ أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته تطوره وقضاياها، ص 105.

² عائشة نجار، باكورة أعمال مالك بن نبي وزاد مساره الفكري، ضمن الموقع الإلكتروني: 5-5-2021/14:15

<http://insanjadid.com/ar/archives/1159>

³ الرواية، ص 11.

الإسلاميّة لتذكّرنا الرواية بأنّ قيمنا و هويّتنا هي طريق نهضتنا، وأنّ عودتنا لتلك الأصول هي التي يجب أن ننطلق منها لرسم حياة و حضارة اتّصالية.¹

لقد استطاعت رواية قصيرة و بسيطة لمفكر كبير أن تولّد كل تلك المعاني الحضارية العميقة إذ أعاننا على استكشافها وربطها بمشروعه الفكري، أمكن لنا أن نتأكّد أنّ مالكاً لم يبد أدبياً يروي لنا قصّة أدبيّة و يحبك أحداثها فحسب، وهو الذي ينعي على العرب انشغالهم بالتّظنم الدقيق والكلمة الأدبيّة الأنيفة أو نزوعهم إلى الشعر كوسيلة رشيقة مناسبة تخفي مواضع النقص و الاختلال التي اعتبرها إحدى مساوئ ما بعد الموحدين²، هذا بالرغم من كون سعيه الأول في شبابه هو أن يغدو "كاتب قصّة"، لكنّه أبى إلا أن يكون بدلاً عن ذلك "صاحب قضية يُدافع عنها"، ويدعوننا من خلالها إلى التّضحية بطموحاتنا الشخصيّة أمام قضايا الأمّة وحضارتها، فنمو أمتنا محفوف بالصعوبات التي هي من علامات نموها كما يقول مالك بن نبي من خلال تأملاته في المجتمع العربي.

«لَبَّيْكَ» أمكن لها مع بساطتها أن تحمل في دواخلها المعاني الحضارية العميقة التي لا يتاح لنا معرفتها إلا من خلال ربطها بخيوط فكر بن نبي.

وقد استعان بن نبي في منح الحياة لأفكاره وتميرها من خلال هذه الرواية باللّغة الحيّة المعبرة وبالصّور والخيال كما تتميز الرواية بسلاسة الأسلوب وتميزه في سرد الأحداث وجمالية الوصف للمناظر والبلدان كأنك تَحياها، وغناها بعنصر التشويق والتّكتيك والطرافة. ونجدها تحمل جانباً واقعياً وملبئة بالمشاعر تبعث الأمل في نفوس قرائها.

¹ عائشة نجار، باكورة أعمال مالك بن نبي وزاد مساره الفكري، ضمن الموقع الإلكتروني: 5-5-2021/14:15

<http://insanjadid.com/ar/archives/1159>

² ينظر: مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط5، 1986م، ص60.

ف«الظاهرة القرآنية» هي مطالعُ الأفق، و«لبّيك» هي زاد المسار...و تبقى «شروط النهضة» خطّة البناء التّربوي إلى المرتقى، من خلال رواية نغرسها في الجيل القادم، تاركين في نهاية المطاف «سلسلة مشكلات الحضارة» ليست إلّا مجرد معالم إرشادٍ في طريق خطّته وحيدة رواية بن نبي «لبّيك».¹

فالفكر الإسلامي الذي جاء به مالك بن نبي بُغية إعادة تقويم ما أفسده الاستعمار، وغرس القيم ورفع الضيم والمهانة عن الأشخاص، وبناء الحضارة، إنّما هو فكر إنساني.

¹ الرواية، ص14.

خاتمة

في ختام هذه الدراسة التي عالجت الأنساق الثقافية في رواية " لبيك حج الفقراء" لمالك بن نبي خلصُ البحث إلى النتائج الآتية:

- تحكمت في إنتاج رواية "لبيك حج الفقراء" مجموعة من الأنساق الثقافية تتمثل في: النسق السياسي والنسق الاجتماعي والنسق الديني والنسق الفكري.
- إنّ شخصيات الرواية قد تمكنوا من تحقيق الوطنية رغم الثقافة الغربية، من خلال تشبّثهم بالقيم والأخلاق الإسلامية والعادات والتقاليد الجزائرية.
- يعكس تفاعل شخصيات الرواية تصويراً للمجتمع الجزائري والوشائج القوية التي تجمعها، كما كان للعلاقة مع الآخر (الفرنسي) في الرواية صور من التشارك والعلاقات الاجتماعية وإبراز لعقيدة الآخر وتفكيره.
- كما كان في شخصية زهرة زوجة إبراهيم نسقا ضاربا في عمق مختلف الثقافات والذي يجعل من المرأة الصالحة هي من تقبل زوجها على سوء تصرفاته وأخلاقه وتلتزم الصمت والصبر.
- حضر الجانب الديني في الرواية حضوراً قوياً، فقد ركز ابن نبي على فكرة الدين وقدرتها في التغيير نحو الأفضل وأن هذا التغيير يبدأ من إصلاح النفس أولاً.
- رحلة الحج التي صورها ابن نبي في روايته هي رحلة روحية تمثل رحلة الإنسان المسلم العاصي الذي هدّته الذنوب وعودته إلى الدين الصحيح، ليصبح رجل حضارة.
- إنّ لأفكار وأهداف الروائي حضوراً في ثنايا النصّ الروائي والتي يمكن تلخيصها في:

- لا خلاص لهذه الأمة إلا بالعودة إلى جذورها وتمسكها بأصولها العربية الإسلامية، إذ تبين للكاتب بالدراسة والتجربة أن الأمم لن تتطور ولن تنال حظها من الحضارة مادامت مسلوقة في حريتها ومهددة في هويتها ووجودها.
- أن الرواية تهدف إلى تعريف القارئ الفرنسي على وجه الخصوص بالقيم الروحية للحج وأجوائه الشعائرية، التي تمكنه من الإفلات من سطوة المادية من خلال تجرده من بهرجة الدنيا.

نأمل ختاماً أن يكون هذا البحث إثراءً للمكتبة الجامعية ومعيناً للباحثين، على أن هذا العمل ليس في حقيقته إسداً للستار في وجه البحث والتفسير والتأويل في مجال هذا الموضوع، بل هو فتح لأبواب أخرى يمكنها ارتياد آفاق لم يتسن لنا ارتيادها، انطلاقاً من الانفتاح على مقاربات جديدة تتبنى مناهج نقدية أخرى.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1. مالك بن نبي، لبّيك حج الفقراء، تر: زيدان خوليف، دار الفكر، دمشق، ط1، 2009م.

المراجع العربية:

2. إبراهيم الحيدري، النقد بين الحداثة وما بعد الحداثة، دار الساقى، بيروت، لبنان، ط1، 2012م.
3. ابن إبراهيم الطيب، مالك بن نبي وابن خلدون مواقف وأفكاره مشتركة، دار مدني، 2002م.
4. إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث (من المحاكاة إلى التفكيك)، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2003م.
5. أحمد كمال زكي، النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2012م.
6. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر آفاق معرفة متجددة، دمشق، ط3، 2008م.
7. أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د،ط)، 2007م.
8. أحمد يوسف عبد الفتاح، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، الجزائر، ط1، 2010م.

9. جيلالي جقال، "المناهج الأدبية بين المقاربة والتطبيق - النقد الثقافي والمقاربة النصية أنموذجاً"، أعمال اليوم الدراسي- إشكالية تطبيق المنهج في أطروحات دكتوراه الدراسات الأدبية، البدر الساطع للطباعة والنشر، العلمة، الجزائر، ط1، 25أفريل2018م.
10. حسين السماهيجي وآخرون، عبد الله الغدامي والممارسة النقدية والثقافية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005م.
11. حمد البليهد، جماليات المكان في الرواية السعودية، دار الكفاح للنشر والتوزيع، (د،ط)، (د،ت)، 1428هـ / 2013م.
12. سمير حجازي، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي المعاصر، دار التوفيق، سورية، ط1، 2004م.
13. سمير الخليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د،ط)، 2014م.
14. سمير الخليل، فضاءات النقد الثقافي من النص إلى الخطاب، كلية الآداب، العراق، ط3، (د،ت).
15. شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط9، 2004م.
16. صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط1، 2002م.
17. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998م.
18. ضياء الكعبي، السرد العربي القديم(الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط1، 2005م.
19. طه الوادي، الرواية السياسية، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، (د،ط)، (د،ت).
20. عدنان النحوي، الأسلوب والأسلوبية، دار النحوي، الرياض، ط1، 1999م.

21. عبد الرحمان بن إسماعيل السماعيل، الغدامي الناقد قراءات في مشروع الغدامي النقدي، كتاب الرياض، الرياض، العدد 97-98، ديسمبر 2001م.
22. عز الدين المناصرة، الهويات والتعددية اللغوية، (قراءة في ضوء النقد الثقافي المقارن)، الصايل للنشر والتوزيع، (د، ط)، 2013م.
23. عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة، العدد 232، الكويت، 1998م.
24. عبد القادر الرباعي، تحولات النقد الثقافي، دار جرير، الأردن، ط1، 2007م.
25. عبد الله الغدامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان، ط3، 2005م.
26. عبد الله الغدامي وعبد النبي إصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر، دمشق، ط1، 2004م.
27. عمر مسقاوي، مقاربات حول فكر مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2008م.
28. مالك بن نبي، شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1986م.
29. مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط4، 2000م.
30. مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن "الطالب"، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط2، 1993م.
31. مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، (د، ط)، 2000م.

32. مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، تر: بسام بركة، أحمد شعبو، ط2، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2002م.
33. مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط5، 1986م.
34. محسن جاسم الموسوي، النظرية والنقد الثقافي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005م.
35. محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري - من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة، ج2، دار كردادة، الجزائر، (د،ت).
36. محمد الجوهري، مدخل إلى علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة القاهرة، (د، ط)، 2007م.
37. محمد عادل شريح، ثقافة في الأسر نحو تفكيك المقولات النهضوية العربية، دار الفكر، دمشق، ط1، 2008م.
38. محمد مندور، الأدب وفنونه، نهضة مصر، مصر، ط5، 2006م.
39. ميجان الرويلي و سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط3، 2002م.
40. ميخائيل إبراهيم سعد، شخصيتي كيف أعرفها، دار الآفاق الجديدة، لبنان، ط3، 1987م.
41. يمني العيد، في معرفة النص، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1985م.
42. يوسف عليّات، جماليات التحليل الثقافي (الشعر الجاهلي نموذجاً)، دار الفارس، عمان، ط1، 2004م.

43. يوسف وغليسي، محاضرات في النقد الأدبي المعاصر، منشورات جامعة مانتوري، قسنطينة، 2004، 2005م.

المراجع المترجمة:

44. إديث كريزويل، عصر البنيوية، تر: جابر عصفور، دار سعاد صباح، الكويت، ط1، 2003م.

45. أرثر أيزابجر، لنقد الثقافي-تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية-، تر: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2012م.

46. برنر شبلر، علم اللغة والدراسات الأدبية، تر: محمود جاد الرب، جامعة الملك سعود، الرياض، (د،ط)، (د،ت).

47. ت.س. إليوت، ملاحظات نحو تعريف الثقافة، تر: شكري عياد، دار التنوير، القاهرة، ط1، 2014م.

48. جوليا كريستيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي وعبد الجليل ناظم، دار توبقال، المغرب، ط2، 1997م.

49. جوناثان كولر، مدخل إلى النظرية الأدبية، تر: مصطفى بيومي عبد السلام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005م.

50. جون ستوارن، البنيوية وما بعدها، تر: جابر عصفور، عالم المعرفة، الكويت، 1999م.

51. فنسنت ليتش، النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات إلى الثمانينيات، تر: محمد يحيى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، (د،ط)، 2000م.

52. ك بلوولف و آخرون، موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي (القرن العشرين المدخل التاريخية و الفلسفية و النفسية)، تر : إسماعيل عبد الغني و آخرون، المجلد 9، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر، ط1، 2005م.
53. نيكلاس لوتمان، مدخل إلى نظرية الأنساق، تر: يوسف فهما حجازي، منشورات الجمل، بغداد، العراق، ط1، 2010م.

المعاجم:

54. أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ج3، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، لبنان، 2001م.
55. سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1985م.
56. مجد الدين بن يعقوب الفيروزبادي، قاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، باب النون، مؤسسة الرسالة، بيروت.
57. معجم الوجيز الميسر، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط1، 1993م.
58. المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مجمع اللغة العربية، مصر، ط4، 2004م.
59. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د،ط)، (د،ت)، مج09، مادة "ثقف".
60. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د،ط)، (د،ت)، مج10، مادة "نسق".
61. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د،ط)، (د،ت)، مج03، مادة "نقد".

المجلات:

62. إسماعيل حمادي، "النقد الثقافي: مفهومه، منهجه، إجراءاته"، مجلة كلية التربية، واسط، العدد13، 2013م.

63. زيدان خوليف، "عقيدة الآخر عند مالك بن نبي"، مجلة Maghreb Review، العدد 1-4، 2004م.
64. طارق بوحالة، "جينالوجيا نظرية النقد الثقافي"، دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية، عناية، العدد 03، أكتوبر 2016م.
65. عليّة النجار، "الأنساق المضمرة بين النقد الأدبي والنقد الثقافي"، مجلة كلية التربية الأساسية جامعة بغداد، كلية الدراسات الإسلامية، العدد 68، 2011م.

الرسائل الجامعية:

66. walliser Bernard نقلا عن: معاشو بووشمة، الأنساق الثقافية في الشعر الجاهلي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2019م.

المواقع الإلكترونية:

67. جميل حمداوي، الرواية السياسية والتخييل السياسي، ديوان العرب، ضمن الرابط الإلكتروني: <https://www.diwanalarab.com> 08-5-2021/15:00
68. جميل حمداوي، النقد الثقافي بين المطرقة والسندان، ديوان العرب، ضمن الرابط الإلكتروني: <http://www.diwanalarab.com> 9-42021/11:30
69. عائشة نجار، باكورة أعمال مالك بن نبي وزاد مساره الفكري، ضمن الرابط الإلكتروني: <http://insanjadid.com/ar/archives/5-5-2021/14:15>
70. نوار عبيدي، مالك بن نبي رائد الرواية الجزائرية، ضمن الرابط الإلكتروني: <https://binbadis.net/archives/2865> /12-5-2021/20:10.

ملحق

1- سيرة الروائي:

يُعد مالك بن نبي من أبرز المفكرين الذين أنجبتهُم الأمة الإسلامية في القرن العشرين، ولا تزال كتبه وأبحاثه تشغل الدارسين والباحثين من حيث قيمتها الفكرية وأبعادها الإنسانية خاصة تلك التي تناولت مظاهر التخلف وأضرار الاستعمار على الشعوب، و مسالك النهضة وشروطها للأمم المتطلعة إلى الرقي والتطور.

1.1- نشأته:

المفكر مالك بن عمر بن نبي، مواليد 1905م في مدينة قسنطينة بالجزائر، وُلد في عائلة جد فقيرة كما كان حال كل العائلات الجزائرية إبان الاحتلال وكان الابن الوحيد لعائلته، وأخا لثلاث شقيقات¹ و أمام ذلك الواقع الأليم لم تجد عائلته بدا من أن تتجه من قسنطينة إلى تبسة، فعمّ الفقر والدمار وكانت عائلة بن نبي من ضحايا الاستعمار، فأبوه كان عاطلا عن العمل وجده لأبيه باع كل ما تبقى بحوزته من أملاك. وعن هذه الفترة العصبية يقول مالك بن نبي: "لقد كانت هذه الفترة في حياة عائلتي شديدة العسر. إذ مات عمي الأكبر في قسنطينة وكان قد تبناني منذ أمد بعيد، مما جعل زوجته تعيدني إلى أهلي في تبسة، لقد فعلت ذلك لأن مواردها لم تعد تسمح لها بإعالتني."²، انضم مالك إلى وسطه الجديد مع أطفال تبسة وقد أخذ يتعرف في هذه الفترة على جدته لأمه فيقول "سمعت الكثير من أقاصيصها وحكاياتها التي كان محورها العمل الصالح وما يليه من ثواب، وعمل السوء وما يتبعه من عقاب. وكانت هذه الأقاصيص تعمل على تكويني دون أن أدري، فمنها عرفت أن الإحسان في مرتبة عليا من الخلق الإسلامي."

¹ ابن إبراهيم الطيب، مالك بن نبي وابن خلدون مواقف وأفكاره مشتركة، دار مدني، 2002م، ص 36.

² مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، دار الفكر، دمشق، ط1، 1969م، ص 18.

2.1- تعليمه:

دخل مالك بن نبي لأول مرة إلى الكتاب ليتعلم القرآن الكريم وكان يدفع مقابل ذلك أجرا شهريا يوفره الأهل بصعوبة، ويروي أنه في آخر أحد الأشهر لم يحضر المبلغ المطلوب لصاحب الكتاب فأمره عجزت عن تسديد أجره معلمه للقرآن فدفعت له مقابل ذلك سريرها الخاص¹، وقد كان يقصد الكُتّاب قبل الثامنة صباحًا موعد دخول المدرسة الفرنسية التي كان قد انتسب إليها فقد أخذ "تعليمه الابتدائي و الإعدادي بمدينة تبسة، أكمل دراسته الإكمالية بقسنطينة، ثم بثانوية التعليم الفرنسي الإسلامي، حيث نال منها شهادته سنة 1925م، وفي سنة 1935م، تحصل بفرنسا على شهادة الهندسة الكهربائية²."

3.1- أعماله ومؤلفاته:

ألّف مالك بن نبي ما يزيد عن العشرين كتابا مابين سنتي 1946م و 1973م وهي سنة وفاته، تنوعت عناوين كتبه وتوحّدت غايتها، و تعدّ كتبه ذات مواضيع شديدة الصلة بالحضارة، حاول من خلالها إبراز شروط النهضة، ومعالجة القضايا والمشاكل الاقتصادية والفكرية والثقافية والاجتماعية التي يعاني منها العالم³ المتخلف، بما في ذلك المجتمعات الإسلامية:

- الظاهرة القرآنية: هو أول مؤلفات بن نبي أثناء إقامته بفرنسا سنة 1946م.
- لبيك حج الفقراء: صدرت سنة 1947م، وهي الرواية الوحيدة التي ألفها باللغة الفرنسية.

¹ ينظر: مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، ص 19.

² محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري- من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة-، ج 2، دار كردادة، الجزائر، (د،ت)، ص 60.

- شروط النهضة: صدر سنة 1948م، باللغة الفرنسية ويعدُّ من أهم مؤلفاته، تناول فيه التاريخ والحضارة وحركتهما.
 - مشكلة الثقافة: وأصل الكتاب خمس محاضرات ألقاها الأستاذ مالك في سوريا ولبنان باللغة الفرنسية، ثم ترجمت للعربية.
 - الصراع الفكري في البلاد المستعمرة.
 - الصعوبات كعلامة نمو في المجتمع العربي .
 - وجهة العالم الإسلامي: تناول فيه فوضى العالم الإسلامي وأزماته ومحاولات نهضته.
 - مذكرات شاهد للقرن: الجزء الأول - الطفل - والثاني - الطالب - وهو سيرة ذاتية، صدر سنة 1965م.
 - إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث .
 - مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي.
 - بين الرشاد والنتية.
 - من أجل تغيير الجزائر: جملة من المقالات كتبها باللغة الفرنسية ونشرت في جريدة الثورة الإفريقية.
 - العفن.
 - الكتاب والوسط الإنساني: ناقش فيه مشكلة القراءة والطبع، هل تكمن في الكتاب أم الكاتب أم الوسط الإنساني الذي يتلقى الكتاب؟.
 - مجالس التفكير.¹
- وغيرها من الكتب والمواضيع والأعمال، وتعتبر هذه المواضيع بمثابة عصب البناء الحضاري وثمره عمل دعوب وجاد وفكر عميق و التي أثرت الساحة الفكرية وأضفت الكثير لمتقفي العرب.

¹ محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري-من خلال آثارهم المخطوطة و المطبوعة-، ص 60-62.

2. رواية لبيك حج الفقراء:

1.2- إضاءات حول الرواية:

تعتبر رواية (لبيك حج الفقراء)، من الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، كتبها بن نبي في غرفة فندق بين سفرتين متقاربتين وذلك في مدينة عنابة. وفي رسالة قصيرة للناشر يتحدث مالك عن روايته وكيف صنعها بالرغم من أنه كتبها في عجلة. وذكر أن القصة واقعية خاصة الشخصيتين المحوريتين اللتين قامت حولهما القصة، وهما الفحام والطفل اللذان عاشا في مدينة عنابة. أما الجانب الخيالي الوحيد فيتمثل في الصلة التي وضعها بين الأشخاص في المكان والزمان.¹

كيف ظهرت رواية مالك بن نبي؟

الفضل في ظهور هذه الرواية يعود للباحث الجزائري زيدان خوليف الذي ناقش أطروحة دكتوراه في جامعة السوربون (باريس3) سنة 2006 تحت عنوان (حياة وأعمال مالك بن نبي من عام 1905. 1973). وقد عثر الباحث زيدان خوليف على رواية مالك بن نبي مكتوبة بالفرنسية، وترجمها مشكورا إلى العربية ونشرت لأول مرة سنة 2009م عن دار الفكر بدمشق، وتقع في 156 صفحة من القطع المتوسط.

الرواية قدّم لها المفكر والأديب عمر كامل مسقاوي تلميذ وصديق ابن نبي. هذا الأخير ذكر في مقدمة الرواية أن الباحث زيدان خوليف زاره في طرابلس الشام سنة 2006م لغرض إتمام بحثه وزوده برواية ابن نبي حيث قال " كنت أسمع بقصة (لبيك)

¹ الرواية، ص24.

ولم يكن ابن نبي يحدثنا عنها ونحن من حوله طلابا سوى إشارة عابرة حول موضوعه... وقد قيل لنا تواردا بأنها إحدى إبداعات مالك بن نبي في الأدب".¹

وتعد الرواية من أولى الأعمال الأدبية في النثر الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية التي تحمل وعيا ونضجا فكريا وسياسيا وفلسفيا وإبداعا فنيا، وقد جاءت الرواية مباشرة بعدما أصدر مالك بن نبي كتابه (الظاهرة القرآنية) سنة 1946.

غير أنه وبالنسبة للرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية فالكُل يتفق أنها بدأت مع أحمد رضا حوحو بقصته (غادة أم القرى) التي ظهرت سنة 1947م. بينما الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية فقد ذكر الباحثون أنها ظهرت مع مولود فرعون سنة 1950م برواية (ابن الفقير)، ثم ظهرت رواية (نجمة) لكاتب ياسين سنة 1956م.

لكن الذي لم تذكره كل تلك الدراسات الأدبية - عن قصد أو عن غير قصد - أن مالك بن نبي هو أول أديب جزائري يكتب رواية فنية باللغة الفرنسية وعنوانها (لبيك حج الفقراء)، وقد نشرها سنة 1947 عن دار النهضة في الجزائر، أي قبل أعمال مولود فرعون أو كاتب ياسين². لذا كان واجبا علينا التنويه بأن رواية "لبيك" كان لها السبق في الظهور ولكن ولأسباب مجهولة تمّ غض الطرف عنها.

¹ الرواية، ص 10.

² نوار عبيدي، مالك بن نبي رائد الرواية الجزائرية، ضمن الموقع الإلكتروني:

<https://binbadis.net/archives/2865/12-5-2021/20:10>.

من خلال هذه الرواية استطاع مالك بن نبي أن يقدم لنا وصفاً للمجتمع الجزائري بأصالته ومحافظته على هويته ودينه وتقاليده رغم كل المحاولات الفرنسية لطمس هذه الهوية وتضليل الشعب عن فطرته وإنسانيته.

وكما جاء على لسان عمر مسقاوي، فإن قصة "لبيك حج الفقراء" قد رسمت عمق الروح الجزائرية وشخصيتها المنتمية إلى تراث الثقافة والحضارة الإسلامية المنشدة إلى منازل الوحي.¹

2.2- ملخص الرواية:

تجري أحداث الرواية بمدينة بونة (عنابة) في موسم الحج، حيث امتلأ الميناء بالحجيج الذين جاؤوا من كل البلاد لتكون الانطلاقة من مرافئ عنابة، وبينما الحشود تجتمع لاستقبال الحجيج الذين سينطلقون غدا تمام العاشرة صباحا، كان شخصان يترنحان جراء سكرهما ويختلطان بالحشود بنصف وعي وهما إبراهيم وصديقه، وهنا استشعر إبراهيم وتذكر عظم هذه الشعيرة ومكانة الحج في نفسه رغم غياب وعيه ومن ثم عادا إلى محله الذي يبيع فيه الفحم وهو متأسف لحاله، وضياح نفسه وغط في نوم عميق غير أنها لم تكن ليلة كالليالي فقد رأى فيها حلماً غير مجرى حياته.

رأى إبراهيم نفسه يرتدي لباس الإحرام ويؤدي فريضة الحج، ماترك فيه شعوراً بالعجب والسخرية في الآن نفسه فأنا له الحج وهو السكير الملقب ببوقرعة، غير أنه دفع عنه هذه القوى التي تثبطه وخرج من القرف الذي يملأ المحل متجهاً إلى المسجد وهناك تناهى إلى مسمعه انطلاق باخرة الحجيج صباحاً على الساعة العاشرة، فهرول إلى حمام شعبي لينزع عنه كل أدرانته الماضية، وبعدها اتجه نحو العم محمد الذي يقطن في منزل إبراهيم وثلة

¹ الرواية، ص 10.

من الجيران ولا عجب فإبراهيم قد طُرد منه رغم أنه مالكة بسبب عريذاته وسلوكه، وهما هو الآن يطلب من العم محمد أن يتكفل ببيع المنزل لاحتياجه للمال في رحلة الحج الأمر الذي ترك العم محمد مشدوها جرّاء هذا التغيير الحاصل في إبراهيم لكنه رحب بالفكرة وعزم على الاهتمام بأمر البيع، بينما انطلق إبراهيم ليسوي الإجراءات الإدارية بدءاً بأخذ الصور إلى الاستمارة التي تمكن بها من السفر والتي أنجزت بسهولة إذ استعان إبراهيم في إنجازها بمنتخب من بونة.

وتمكن العم محمد من رهن المنزل وأعطى نصف المال لإبراهيم على أن يأخذ النصف الباقي حين عودته، وفرح كل الجيران بإبراهيم وتوبته وجمعوا له مؤونة الطريق ممّا كان عندهم من طعام ومن الخبز المطلي بالبيض الذي صنعتته الخالة فاطمة، وهي نفسها التي قدمت له مسبحة أمه بعدما أرسلتها له طليقته زهرة فهي الشيء الوحيد المتبقي له من أمه، وانطلق إبراهيم ومعه العم محمد وصاحبه الذي دهش هو الآخر لتغير حال إبراهيم، فقد حان وقت انطلاق الباخرة من الميناء، وفي الميناء كانت الوفود تلتحق من الحجاج وأهليهم الذين جاؤوا لتوديعهم.

وبينما إبراهيم يودع العم محمد وصديقه إذ لفت نظره طفلاً يشتغل في حمل البضائع من أطفال بونة الذين اعتادوا على مناداة إبراهيم ببوقرة وكذلك فعل في هذه اللحظة، لكن إبراهيم لم يهتم لما قاله، وأوصى العم محمد بأن يهتم بزهرة وينظر فيما تحتاج فقد عاشت معه حياة تعيسة.

وصعد على الباخرة وانطلقت هذه الأخيرة تمخر عباب البحر، وعلى متنها تعرّف الحاج إبراهيم على العديد من الحجيج من داخل الجزائر ومن مختلف البقاع كالمغاربة والتونسيين وأهل مصر وغيرهم، وهنا اجتمع مع مجموعة من الحجيج من العاصمة

الجزائر الذين دعوه ليقيم معهم ويؤدي صلواته رفقتهم، فقبل إبراهيم بهذا العرض وهاهو يتسامر معهم ويقضي أوقات أكله وصلاته معهم.

وبينما هم على هذه الحال سمعوا ضجيجاً وصراخ يعلو على متن السفينة، فقد وجد البحارة الفرنسيين طفلاً مختبئاً داخل مخازن السفينة، نظر إليه إبراهيم والتقت أعينهما إنّه الطفل الذي يعمل حمّالاً للحقائب، كان يبكي والخوف بادٍ على وجهه، وهنا تدخل إبراهيم وبعض الحجاج ليلطفوا الجو وينقصوا من جزع هذا الطفل، غير أن البحارة أصر على أن يُعلم المحافظ بأمر هذا الفتى الذي أراد الحج خلسة بلا إجراءات رسمية، إلا أن الضابط سرّ لعمل الطفل وشجاعته وإقدامه وذكره بنفسه إذ كان صغيراً، على أنه فرض عليه مقابلة السفر على متن الباخرة أن يساعد في أعمال المطبخ وينظر لاحتياجات الحجاج، ومن خلال احتكاك الطفل بهم علموا منه بأن اسمه هادي وبأنه يتيم الوالدين لأموى له في بونة وإنما كان ينام في الحمامات الشعبية مع بعض الصبية أمثاله.

وهنا رَقَّ إبراهيم لحاله وعزم على الاهتمام به، فعلمه الوضوء ودعاه للصلاة معهم، كما كان يترك له جزءاً من حصته من الحلويات، أمّا هادي بدوره تغيرت نظرته لإبراهيم ولمس فيه حنان الأبوة وحزم المعلم والذي افتقدتهما في حياته.

و على متن الباخرة كان هنالك تواصل مع الحجاج وبعض البحارة الفرنسيين الذين كان لهم اهتمام بدين الإسلام وتعاليمه، وعلى قلة معرفة إبراهيم بها إلا أنه أجاب البحارة وحاول أن يُفسر له ما أشكل عليه.

أمّا خارج أوقات الصلاة كان إبراهيم يتمشى داخل المركب واصفاً المناظر التي مروا بها في رحلتهم من الانطلاقة من الميناء مروراً بتونس إلى أن وصلوا إلى رابغ حيث شرع الحجاج في الاستحمام وقص الأظافر والشارب وارتداء لباس الإحرام استعداداً لمناسك الحج.

رجع مركب الحجاج إلى بونة بعد هذه الرحلة الروحية التي تخلصت فيها النفس من ريقة الآثام والذنوب، غير أن الحاج إبراهيم والطفل هادي لم يرجعاً واستقرّا في المدينة، وما عاد منهما إلا رسالة حملها إبراهيم أحد الحجاج لإيصالها للعم محمد وهذا نصّها:

" إلى عمي العزيز محمد النقي، الوقور، الكريم، الشيخ العالم.

السلام عليك وعلى أهلك. أنا سعيد بإخباركم أنني قد وصلت إلى المدينة المنورة منذ أيام بعد أن أديت جميع مناسك الحج كما علمتني عند مغادرتي بونة. أنا احمد الله أن سهل لي العودة إلى الطريق المستقيم بعد أن سرت طويلاً في طريق الزلل والخطايا.

أحس وكأني إنسان جديد وأرى من حولي عالماً جديداً أريد العيش فيه إن شاء الله.

هناك مغربي يملك حماماً سمح لي بأن أضع فرتاً في زاوية كي أبيع القهوة لزبائنه. أريد أن أقول لك أيضاً إن مهنة الفحام ليست متداولة في هذه الأمصار لأن الجميع يستعملون إما البنزين وإما الكحول وقوداً، هذا أفضل فقد تركت الفحم مع الخمر في بونة، غير أنني أفكر فيكم وفي أصدقاء والدي لقد جعلت لكم حظاً من دعائي في مكة كما في المدينة، لن أنساكم كلما زرت قبر الرسول الذي أقصده كل يوم مع طفل صغير من بونة كان قد ركب المركب خفية وقد قبل أن يصبح بمنزلة ابني، إنه سعيد أيضاً إذ ترك علبة مسح الأحذية كما تركت أنا محلي...

لن أنسى أبداً زهرة وصبرها الرائع معي في محنتي، أتمنى لها حجة لأنها تستحق ذلك
وإذا قبلت أن تلتحق بي في المدينة خلال الحج المقبل فأرجوك أن تسلم لها بقية ثمن بيع
البيت حتى تتمكن من تحمل نفقات السفر. أسأل الله أن يجمعنا بالسعادة في هذه الدنيا
أو في الآخرة."

المدينة 25 ذو الحجة....13

"الحاج إبراهيم الذي يدعو لكم"



فهرس الموضوعات

مقدمة.....أ- د 8

الفصل الأول:

النقد الثقافي: -المفهوم والنشأة -

1- تعريف النقد الثقافي.....8

1.1- تعريف النقد.....8

1.1.1- لغة.....8

2.1.1- اصطلاحا.....8

2.1- تعريف الثقافة.....10

1.2.1- لغة.....10

2.2.1- اصطلاحا.....11

2- مفهوم النقد الثقافي.....13

3- نشأة النقد الثقافي.....15

1.3 - عند الغرب.....16

2.3 - عند العرب.....19

• النقد الثقافي عند عبد الله الغدامي.....20

• مابعد الغدامي.....21

4- الدراسات الثقافية والنقد الثقافي.....22

5- الآليات الإجرائية في النقد لثقافي.....25

1.5- الدلالة النسقية.....26

2.5- الجملة الثقافية.....26

3.5- المجاز الكلي.....27

4.5- التورية الثقافية.....28

5.5- النسق المضمّر.....28

6.5- المؤلف المزدوج.....29

6- أهداف النقد الثقافي.....30

31.....	7- النسق الثقافي
31.....	1.7- مفهوم النسق
32.....	1.1.7- لغة
33.....	2.1.7- اصطلاحا
34.....	2.7- مفهوم النسق الثقافي
35.....	8- نشأة النسق "النص من البيئة إلى النسق"
39.....	1.8- النسق الظاهر (المعلن)
39.....	2.8- النسق المضمّر (الخفي)
40.....	9- شروط النسق الثقافي

الفصل الثاني:

"الأنساق الثقافية في رواية لبيك حج الفقراء"

43.....	تمهيد
44.....	1- النسق السياسي
45.....	1.1- هوية الوطن
47.....	1.2- التمسك بالهوية وقابلية الاستعمار
49.....	2- النسق الاجتماعي
50.....	1.2- علاقة الأنا بالآخر
51.....	1.1.2- علاقة إبراهيم بالجزائريين
52.....	2.1.2- علاقة إبراهيم بالطفل هادي
54.....	3.1.2- علاقة إبراهيم بالفرنسيين (المسيحيين)
55.....	4.1.2- علاقة إبراهيم بالحجيج من مختلف الأمصار
56.....	2.2- نسق المرأة
58.....	3- النسق الديني
64.....	4- النسق الفكري
70.....	خاتمة

73.....	قائمة المصادر والمراجع
81.....	ملحق
92	فهرس الموضوعات

الملخص:

النقد الثقافي من إفرازات مابعد الحداثة في مجال الدراسات النقدية، يهتم بكل مجالات الثقافة سواء ما كان مؤسساتي أو مهمّش، فقد جاء كرد فعل للبنىوية التي حصرت الدراسات في كل ما هو نخبوي وانغلقت على عناصرها الداخلية واهتمت بأدبية الأدب، هذه الأدبية التي يعتبرها النقد الثقافي ما هي إلا وسيلة لتمرير الأنساق الثقافية المضمرة والمتخفية والتي تملك الهيمنة والسلطة على الوعي الإنساني، وبهذا تهدف دراستنا إلى كشف الأنساق المضمرة كالنسق السياسي، الاجتماعي، الديني، الفكري، والمتمركزة في المتن الروائي، ومنه كان عنوان دراستنا "الأنساق الثقافية في رواية لبّيك حج الفقراء".

The summary:

The cultural criticism is an outcome of post-modernism critical studies. It concerns with all fields of culture; those fundamental or neglected. So it came as a response to the structuralism which limited the studies to the elite, made a closure into its interior elements, and had an interest on the literalism of literature.

This literalism is considered by the cultural criticism only as a way to pass the hidden patterns that have an authority on the human consciousness. As a result, our study tends to reveal these hidden patterns, such as the political, the social, the religious, and the thoughtful ones, which are essential within the narrative context.

For that our case study was entitled the cultural patterns in the novel "lebbeik the pilgrimage of poor".